الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة أكلي محند أولحاج

-البويرة-

Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -

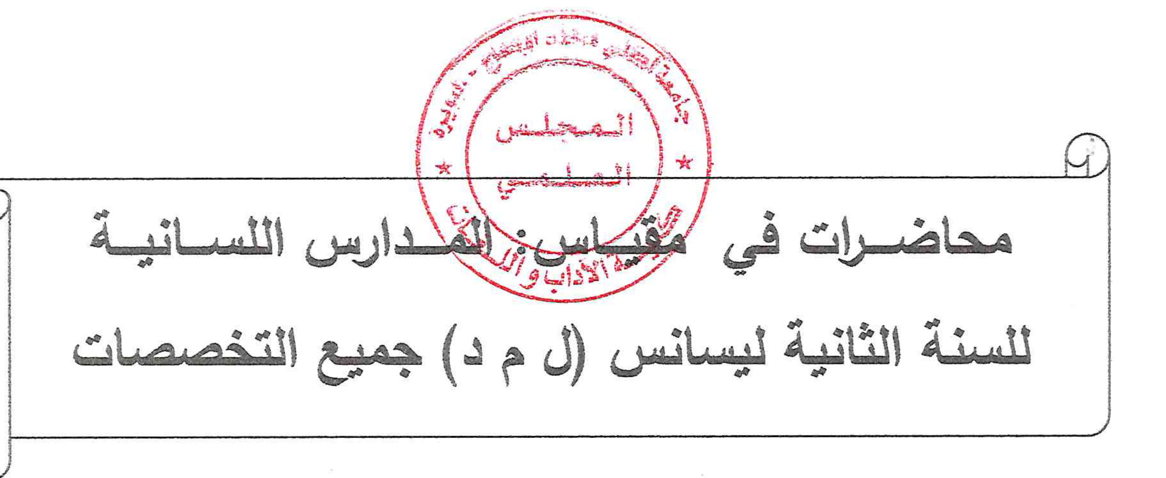
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴰⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⵜ -



كلية الأدب واللغات

Faculté des Lettres et des Langues

قسم اللغة والأدب العربي



محاضرات في مقياس: المدارس اللسانية

للسنة الثانية ليسانس (ل م د) جميع التخصصات

إعداد الدكتور: لخذاري سعد

أستاذ محاضر الصنف أ

العام الدراسي: 2022/2021

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات



Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⴰⵙⴷⴰⵡⴰⵙ ⵏ ⵜⵓⴱⴰⵢⵔⵜ
Faculté des Lettres et des Langues

الرقم: 80 / م ع / ك آ ل/ج ب 2022

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

خاص بـ:

ملفات المطبوعات الجامعية

صادق المجلس العلمي في اجتماعه يوم 2022/06/26 على المطبوعة البيداغوجية للأستاذ: **لخذاري سعد** من قسم اللغة والأدب العربي و التي تحمل عنوان: (محاضرات مقياس المدارس اللسانية)، موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس ل م د ،جميع التخصصات و قد حظيت المطبوعة بتزكية المجلس العلمي بناء على التقريرين الإيجابيين للخبيرين:

الخبير	الصفة	جامعة الإنتماء
د/عبدالرحمن عيساوي	أستاذ التعليم العالي	العقيد اكلي محند اولحاج -البويرة
د/خليدة بن عياد	أستاذ التعليم العالي	جامعة امحمد بوقرة – بومرداس-

رئيس المجلس العلمي للكلية/

رئيس المجلس العلمي
الأستاذ: طهراوي بوعلام

فهرس الموضوعات

مقدمة

يأتي هذا العمل ليقوم بتقديم شرح مفصّل للبحث اللساني الغربي منذ نشوئه إلى مراحل بحثه المتقدمة، فاللسانيات بدأت مسيرتها منذ ذيوع كتاب فيرديناند دي سوسير وشهرته في الأوساط العلمية اللسانية، فقبل سوسير لم يكن هناك بحث منهجي لغوي كالذي نعرفه اليوم، وإنما كانت هناك دراسات لغوية تاريخية لا ترقَ للبحث العلمي المنهجي، جاء هذا البحث ليفصّل بشيء من العمق تطور المدارس اللسانية الغربية المشهورة، وذلك على فترتين ومنطقتين جغرافيتين واضحتين، فالفترة الأولى كان جذوة اللسانيات أوروبية عبر توجهات مشهورة، وهي: مدرسة سوسير، ثم مدرسة جنيف الوظيفية، والمدرسة الرياضية، ووظيفية أندري مارتيني، والمدرسة الاجتماعية اللندنية، ثم انتقل البحث اللساني وتطور بأمريكا، بدءًا من المدرسة الأنثروبولوجية ثم المدرسة السلوكية، وانتهاء بالتوليدية التحويلية لنوام تشومسكي والذي استقرت على يديه النظرية اللسانية وصارت شاملة لكل عناصر اللغة وأبعادها التطبيقية.

استعنا في بحثنا هذا بترسانة من الكتب الأصلية المترجمة لرواد المدارس اللسانية، وكذلك بعض المعاجم اللغوية المترجمة لعلماء لسانيين غربيين، وكذلك استعنا بجملة من بحوث ودراسات دارسين عرب محدثين جادين على النظرية اللغوية اللسانية العامة، معتمدين على المنهج الوصفي التحليلي لاستقصاء المفاهيم وشرحها وكشف أنساقها، حيث تم رصد كم مرجعي لا بأس به لتقديم النظرية اللسانية الحديثة بشكل مفصل وثري الذي يستعين بكل الحقول المجاورة التي تخدم اللسانيات من الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس والتراث اللغوي القديم.

إن هذه الدراسة موجهة بالأساس لطلاب الجامعات في حقل اللغة والأدب العربي والنقد، ليجدوا مادة ثرية وغزيرة لفهم الحراك اللساني الحديث والمعاصر، وحاولنا قدر الإمكان بسط الأفكار ببساطة وبنوع من الشرح حتى يتحكم الطالب في المصطلحات والمفاهيم اللسانية المتخصصة، والتي ستفتح أمامه مجال التطبيق اللساني لدراسة النصوص بأنواعها ومعالجة المشاكل اللغوية والانفتاح على حقل تعليمية اللغات وصناعة المعاجم الالكترونية واللسانيات الحاسوبية التي تحتاج فهم أعمق للنظام اللغوي الذي أنشئت لأجله المدارس اللسانية. وتعتبر هذه الدراسة سند للدراسات التي أنجزت في هذا المجال الذي تستجد فيه كل يوم كشوفات لمزيد من الأنساق والرؤى والأفكار اللسانية العلمية.



الفصل الأول

المدارس اللسانية الأوروبية

المبحث الأول: اللسانيات البنيوية عند فيرديناند دي سوسير Ferdinande de Saussure (1857م/1913م)

أ) من هو دي سوسير؟

يعتبر "فرديناند دي سوسير" المرجع الأساسي في اللسانيات، لأنها تأسست على يديه، وصار مرجعا لكل المدارس اللسانية من بعده،" وُلد سوسير في جنيف في أواسط القرن التاسع عشر (1875)، وتجلّت حسب بعض التقديرات في منزعين بهما تحددت فلسفة المناهج المعرفية قاطبة، فأمّا أولهما فمنزع الوعي بأثر التاريخ وفعله في صيرورة الإنسان، وأمّا ثانيهما فمنزع البحث عن القوانين المتحكّمة في كلّ الظّواهر الطبيعية منها والإنسانية. وينحدر سوسير من فضاء أسري هو عيّنة حقيقية من الرّوح العلمية السّائدة في عصره، فأبوه هنري دي سوسير Henri de saussure (1829-1905) متخصص في علوم الأحياء...وجدّه هوراس بينيديكت دي سوسير Horas-bénédict de saussure (1740-1799) عالم طبيعيات وجيولوجيا. وقد اقتضت المسيرة العلمية لسوسير أن يتنقل بين سويسرا وألمانيا وفرنسا، وحين بلغ خمس عشرة سنة، أنجز بحثا بعنوان (محاولة في اللغات) ناسجًا في ذلك على منوال التقاليد العلمية منذ القرن الثامن عشر في البحث عن أصل اللغة. أنهى سوسير دراسته الثانوية في جنيف ودرس لمدّة سنة الألسنة اللاتينية والإغريقية والسنسكريتية. وفي سنة 1876 انتقل إلى ليبزغ حيث أشهر جامعة في تدريس الفيلولوجيا. وقد جسّدت المدّة التي قضاها في ليبزغ مع الإقامة القصيرة التي قضاها في برلين الفترة الأساسية في تحصيله العلمي...وفي سنة 1877 تقدّم سوسير إلى الجمعية اللسانية بباريس بمقال طوّره لاحقا ليكون موضوع مذكّرة بحث قدّمه وعمره 21 سنة في ليبزغ عن (النّظام الأوّلي للحركات في الألسنة الهندية الأوروبية) وبعد سنتين ناقش أطروحة دكتوراه عن (استعمال المضاف المطلق في اللسان السنسكريتي)"[1]؛ فسوسير نشأ في عائلة متخصصة في العلوم التجريبية التي تأثّر بمنهجها الصّارم الذي يركّز على الاستقراء والدقّة والحساب، وفي الوقت نفسه قضى بداياته الأولى ضمن اللسانيات التاريخية التطورية، فكان متمرّسا في هذا المجال، كما أن سوسير كان باحثا مُلهما منذ صغر سنّه،

---

1 حسين السوداني، "دروس فردينان دي سوسير بعد مائة عام"، مجلة مقابسات، المعهد العالي للعلوم الإنسانية، تونس، العدد 11، 2018م، ص: 40، 41.

فقد تميّز بالسرعة في الإنجاز والنبوغ والتفوّق، وساعدته الظروف حتّى يكون متعمّقا في حقل الدّراسات اللغوية، ومكتسبا لنزعة علمية تؤهّله للخروج بالدّرس اللغوي آنذاك من المأزق الذي وقع فيه والذي لم يصل إلى غاياته المرجوّة بعد قرون من العمل.

ب) تأسيس سوسير للسانيات

يعتبر فيرديناند دي سوسير مؤسس اللسانيات البنيوية، وهو من أوجد المبادئ العامة للسانيات بطريقة علمية منهجية، ويمكن أن نفهم توجهه اللساني انطلاقا من مقولاته المشهورة في علم اللغة، حيث يرى أن:"...اللغة نظامٌ، ويجب أن تُدرس على هذا، فلا ينبغي أن تؤخذ الحقائق الفردية معزولة بعضها عن بعض، بل على أنّها دائمًا أجزاء من نسق كلّي، آخذين في حساباتنا أن كل جزء تفصيلي يتحدد تبعًا لمكانه من النظام. واللغة –ابتداءً– هي ظاهرة اجتماعية تخدم غرض التفاهم المتبادل، وينبغي أن تُدرس على هذا: فالارتباط بين الصوت والمعنى يجب أن يتولّد في العقل، لأنه ذو أهمية حاسمة في عملية التواصل، والتطور التاريخي للغة وحالتها الراهنة هما ظاهرتان مختلفان اختلافا جوهريا، وليس من المقبول من حيث المنهج استحضار المعيار التاريخي في تفسير الحالة الحاضرة للغة ما"[1]؛ فسوسير رأى بأن اللغة عبارة عن مجموعة من الظواهر المتبادلة تسير وفق نسق محكم، أي نظرة علمية وصفية دقيقة ومنهجية، فكل ما يدرس من اللغة لابد من ربطه بكل أجزاء اللغة حتّى يصير له قيمة، كما أنه يقر بأن اللغة ظاهرة اجتماعية تنمو في كنف المجتمع وتستمد قوتها منه، ولكنه يرى بأنه علينا أن ندرس اللغة ككيان تصوّري مجرّد في العقل كعمليات رياضية حسابية بعيدا عن الظّواهر السياقية الاجتماعية، ويشدّد سوسير على ضرورة الفصل بين الدّراسة الزمانية والدّراسة الآنية، لأنّ الخلط بين المنحنين هو الذي أزّم الدرس اللغوي وعمّق من مشكلته، ولن يستقر أمر اللغة ما لم تُدرس في لحظة آنية في ذاتها ولذاتها من غير تدخّل لأي فكرة تطوّرية أو تاريخية للظاهرة اللغوية، بمعنى جعل اللغة كعيّنة ووصفها كظواهر محسوسة مثلما يحدث مع كلّ العلوم التجريبية الأخرى لاستخراج آراء علمية استقرائية.

ج) أهم ثنائيات سوسير

---

1 ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، مصر، 2000م، ص 194.

ج1) الدال والمدلول

من أهم الثنائيات التي أوجدها سوسير مفهوم الدّال والمدلول، فـ:" أ) الدّال (Le signifiant) وهو مجموعة الأصوات القابلة للتّقطيع، أي الصورة الصوتية. ب) المدلول (Le signifié) وهو المفهوم أو المعنى الذي يشير للدّال. إنّ العملية التواصلية إذًا تتم وفق الطريقة التالية: هناك مفهوم يريد المتكلّم إيصاله إلى المتلقي، فلنسمّه المرجع أو المدلول عليه ثمّ يقوم المتكلّم باستثارة معلوماته المخزّنة في ذاكرته. أي يقوم بتشغيل نظامه اللغوي الذاتي ذي الطّابع الدّاخلي لأجل اختيار المفهوم (أي المدلول) المطابق لذلك المرجع، ثمّ يربط المدلول بالصورة الصوتية المادية المجانسة له (أي المفهوم). والتي ورثها من مجتمعه أي من التمثيل الثقافي/ الحضاري المخزون في ذاكرة الجماعة النّاطقة. فالدّليل اللغوي إذا لا يصل بين المدلول عليه ولفظه، ولا بين المدلول عليه والمفهوم، بل إنّه يربط بين الصّورة الذهنية للشيء المادي (أي المرجع) وما يقابلها من أصوات"[1]؛ فالدّال هو الصّورة المادية للأشياء والمدلول هو الصورة المفهومية في الذهن، وتطابقهما يولّد الدليل اللساني أو العلامة اللسانية، فالإنتاج هو منجز مادّي قابل للقياس والتّقطيع والدّراسة، وكلّ الأنشطة لتوليد العلامة هي أنشطة سيكولوجية داخلية، فطبيعة اللغة ذات نظام داخلي معزول عن العوامل الخارجية، وعلاقة الدّال بالمدلول هي علاقة اعتباطية حسب سوسير، أي أنه ليس هناك مناسبة وضرورة لارتباط كل دال بمدلول معيّن، فالمدلول واحد عند كل البشر والدّال المعبّر عنه متعدد، وهذا ما يؤدّي إلى تمايز اللغات، أي أنه ليس هناك علاقة سببية بين الدّال والمدلول، بل علاقة اعتباطية عفوية تختلف من لغة إلى أخرى.

ج2) اللغة والكلام

فصل دي سوسير بين اللغة والكلام، وهذا الفصل حقّق نتائج علمية منهجية هامّة، يقول دي سوسير:" لكن ما اللغة؟ إن اللغة والكلام عندنا ليسا بشيء واحد. فإنما هي منه بمثابة قسم معيّن، وإن كان أساسيا والحق يُقال، فهي في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة من المواضعات يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكّن الأفراد من ممارسة هذه الملكة، وإذا أخذنا الكلام جملة بدى لنا متعدد الأشكال، متباين المقوّمات، موزّعا في الآن نفسه بين ميادين متعددة، بما فيها الفيزيائي والفيزيولوجي والنفسي، منتميا في الآن نفسه إلى ما هو فردي، وإلى ما هو اجتماعي. ولا يتسنَّ لنا ترتيبه ضمن أي

---

1 شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2004م، ص 13.

قسم من أقسام الظواهر البشرية لأننا لا نستطيع أن نستخرج وحدته، أمّا اللغة فهي على عكس ذلك، كلٌّ بذاته ومبدأ من مبادئ التبويب. وما أن نجعلها في المقام الأوّل بين ظواهر الكلام حتّى ندخل نظاما طبيعيا في مجموعة من الظّواهر لا تخضع لأي نوع آخر من التبويب"[1]؛ فاللغة عبارة عن قواعد وأنظمة مودعة بالعقل البشري حسب دي سوسير، ولا يمكن تنشيط هذه القواعد إلاّ بالكلام الذي يعتبر فرعا عن اللغة، فالكلام لا يتشكّل فقط من لغة خالصة، بل فيه ما هو غير لغوي، كالسياقات النفسية والاجتماعية، فاللغة واحدة والكلام متعدد، وغير مستقر، يختلف باختلاف الأداءات المختلفة، واللغة نستطيع ضبط ظواهرها وجعلها تحت نظرية وقواعد مضبوطة، بينما الكلام لا نستطيع توحيد ظواهره وتقنينها، واللغة دائما ما تصاحب الكلام، وهي بمثابة الأصل والفرع. ركّز دي سوسير على دراسة اللغة انطلاقا من الكلام بسبب ضبطها ودقّتها ونسقها المرتّب.

ج3) محوري التركيب/الاستبدال

إن محوري التركيب (التأليف) والاستبدال من أهم الافكار التي طرحها سوسير، نقل "حافظ إسماعيلي علوي" في ذلك مفهوما عنها من خلال "مبارك حنون" ما مفاده:" يبني سوسير العناصر التي تحدد بنية النّظام اللغوي الدّاخلي على نوعين من العلاقات: العلاقات السياقية والعلاقات الجدولية. يقتصر في النوع الأوّل من هذه العلاقات على مراعاة العلاقة بين مكوّنات الجملة، فكلّ عنصر لغوي يتحدد معناه من خلال علاقته بالعناصر الأخرى داخل النّظام، أي عن طريق معارضته ببقية العناصر السابقة أو اللاحقة في التركيب ذاته، أمّا في النوع الثاني (العلاقات الجدولية) فينظر إلى تلك العناصر في علاقتها بالوحدات اللغوية للنّظام اللغوي ككل. بهذا تقيم الكلمات فيما بينها بفضل تسلسلها علاقات مؤسسة على الطّبيعة الخطّية للسان التي تقصي إمكانية النّطق بعنصرين في الآن نفسه، وترتب هذه العناصر الواحد تلو الآخر على مستوى السلسلة الكلامية، ويمكن أن تطلق على هذه التّأليفات التي تعتمد على الامتداد كدعامة المركبات، ويتكون المركّب دائما من وحدتين متعاقبتين أو أكثر...الكلمات المشتركة في شيء ما تترابط في الذّاكرة، وتتكون نتيجة لذلك مجموعات تهيمن داخلها علاقات متعددة، وهكذا فكلمة تعليم تثير في الذّهن مجموعة من الكلمات الأخرى: علم،

---

1 فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، ص 29.

تربية، تدريس، تلقين..."[1]؛ فتشكّل البنية ينبني على فكرتي محوري التركيب والاستبدال، ولا يمكن أن ننطق أو نكتب وحدتين في الوقت نفسه بسبب خاصية الخطّية والتعاقب، وهذا ما يؤلّف الخطاب في أبسط تعريفاته، أي وحدتين فما أكثر، وفي نفس الوقت تحدث عملية الاستبدال أثناء القيام بعملية التركيب لأن لدينا قاموسا من المعجم الذهني، وكل اختيار يدخل في علاقة تبادل مع قاموسنا العام الذي يمتلكه المجتمع اللغوي، ففي كل تركيب نحن نستبدل الكلمات فقط ونضعها في إطار تركيبي ذهني منطقي ورياضي يراعي سلامة تشكيل القواعد اللغوية، لأن لكل لغة منطقها وطريقتها في النّحو والتأليف.

د) فضل دي سوسير على المدارس اللسانية الغربية

لقد كان لطرح سوسير أثر كبير على ساحة الدراسات اللغوية عبر كامل الأقطار من العالم، فأثر هذه الدّروس" يتجلى في تاريخ العلم اللغوي انطلاقا من خصوصية سوسير داخل الغلواء التي كان يمثّلها المنهج التاريخي المقارن، فقد استطاع سوسير كسر الطّوق الذي فرضته أعراف البحث على الدّراسات اللغوية حتّى رسخ في الأوساط البحثية أنّه لا علم ولا علمية إلاّ في المنهج التطوري الذي تركّز في الجامعات الألمانية، وامتدّ انتشاره في الأوساط الأوروبية عموما، وامتدّ طوقه على غيرها من الجامعات مثل الجامعة المصرية، بحكم التعاقد الذي كان يربطها بالجامعات الألمانية. وقد تجاوز أثر جرأة سوسير المستوى العلمي إلى مستوى العلاقات داخل المؤسسة، من ذلك ما انخرط فيه سوسير منذ حلوله بمدينة ليبزغ من سجال حاد مع النحاة الجدد بخصوص العديد من القضايا اللسانية، حتى كانت المدّة التي قضاها هناك مليئة بالخصومات الفكرية، والسّجالات، وردود الفعل السلبية...فمن هذا المنطلق كانت دروس سوسير الأرضية التي حددت المسارات الكبرى للبحث اللساني في العالم خلال القرن العشرين، فقد نشأت الاتجاهات اللسانية اللاحقة لسوسير من تطوير لآرائه أو جدل معها، حتّى إنّ الباحث لا يجانب الصّواب إذا جزم بأنّ كلّ ما كُتب في قضايا اللغة بعد سوسير يمتّ إلى آرائه بسبب"[2]؛ فسوسير خلّص الدرس اللغوي من الفوضى التي كانت تتبعه،

---

1 حافظ إسماعيلي علوي، "اللسانيات البنيوية"، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي بلبنان، العدد: 124/125، 2003، ص: 124، 125.

2 حسين السوداني، "دروس فردينان دي سوسير بعد مائة عام"، ص: 51 . 53.

لأن الدّراسات التاريخية والتطوّرية لم تقدّم أيّ فائدة أو جديد للبحث اللغوي، وبسبب جرأة سوسير وبراعة طرحه وأفكاره العلمية خرج الباحثون اللّسانيون من تلك الفوضى، وصار البحث اللّساني خلاّقا وعلميا وحيويا وله فوائد على أرض الميدان من حيث تعلّم اللّغات وصناعة المعاجم والترجمة السّليمة بسبب الفهم الصحيح للنظرية اللغوية، فقد استطاع سوسير أن يترأّس الباحثين اللسانيين من بعده وصار مرجعا لا يُستغنى بسهولة عنه، فقد كان صعب المراس، ولم يسلّم فكره لكل ما يُملى عليه من آراء، بالرغم من أنّه اشتغل في اللسانيات التطوّرية فترة من الزمن ولكنّه لم يكن مقتنعا بها، فسوسير منذ حداثة سنّه كان يحاور ويحاجج الباحثين الذين يكبرونه سنًّا وعلما بجرأة علمية نادرة وبأفكار تشبه إلى حدٍّ بعيد تلك الأفكار الموجودة في العلوم التجريبية الدقيقة.

يعتبر دي سوسير المؤسس الحقيقي للسانيات التي أخذت منحًى تطوّريا بعده، وكان لها أثرٌ تطبيقي نفعيٌ كذلك:"...إن جميع ما لسوسور من تشييد نظري يرتكز على تعريفه موضوع اللغة التي تقتضي دراستها نفيا مزدوجا للتاريخ وللواقع الموضوعي (أو الاجتماعي)، وهذا النفي المزدوج له تاريخيا نتائجه الهامة، فقد فتح الطريق لسلسلة من الدّراسات التنظيمية الشّكلية للغات، ففي جانب علم وظائف الأصوات تعتبر أعمال حلقة براغ...من مواريث التّفكير السوسوري. وأمّا من جانب النّحو، فتركيب مارتيني الوظيفي مثلا مستخرج من مفهوم اللغة باعتبارها دراسة للأشكال...وبالإضافة إلى هذا التتابع الأوربي للبنيوية نشهد بوجود مقدّمات نظرية وطرق متشابهة مع مناهج سوسور عند التوزيعيين الأمريكيين...ففي النحو التوليدي...تستفيد دراسة المدلولات من السّمات المميزة (كما هو الحال في علم وظائف الأصوات) سعيا إلى وصف نظام عالمي الوضع مؤلف من مدلولات في صلب اللغة، حيث تتقابل الوحدات بعضها ببعض"[1]؛ فآراء دي سوسير ساهمت في إخراج الدّراسة من وهدتها، بسبب المنهج العلمي الذي دُرست به اللغة، وإخراج مفاهيم وآراء انطلقت منها جلّ المدارس اللسانية التي جاءت بعد سوسير، فكلّ مؤسس لأي مدرسة لسانية تالية ركّز على جزئية من جزئيات الطّرح السوسيري لبناء نظريات ونمط تفكيري جديد، فنقول بأن دي سوسير أوجد المنهج ووضع

---

1 كاترين فوك، بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1984، ص 25.

الخطوط العريضة للدّراسة اللسانية والتي ساهمت في تطوّر البحث اللغوي وثرائه نظريا وتطبيقيا، والذي سيطر على ساحة الدراسات اللغوية في كل بقاع العالم.

يقول "ميشال أريفيه" (Michel arivier) عن سوسير: "لم يؤسس سوسير اللسانيات التي كان لها ماضٍ علمي طويل عندما رأى النّور. لكن كتابه هو في الأصل تحول هائل عرفه المسار التطوري لهذا النّوع الدراسي. واستطاع النّاس انطلاقا من وجهة النّظر هذه التحدّث عن قطيعة سوسيرية. وهو مفهوم ربما يكون مبالغا فيه، لكنه على أي حال موسوم بميسم عصره: إنّه الالتقاء بين الماركسية والبنيوية. وعلى الرغم من ذلك، وحتى لو أنّه كان من المغامرة التحدّث عمّا كانت ستؤول إليه اللسانيات بلا سوسير، فإنّه يكفي أن نذكر عددا من الأسماء: تروبتسكوي Troubetzkoy، ومييه Meillet، وهلمسليف Hjelmslev، وجاكبسون Jakobson، وغيّوم Guillaume، وبنفنيست Benveniste، ومارتينيه وآخرين على سبيل المثال، لنلمح أهمية الحدث السوسيري، ونضيف إلى ذلك بالطبع أن السيميولوجيا تجد أحد مصادرها الأكثر أهمية بلا شك في فرنسا وفي أوربا في السيميولوجيا السوسيرية: فلم يكن لفكر بارت ولا لفكر غريماس أن يكون ما هو عليه بلا كتاب دروس في اللسانيات العامة"[1]؛ فدي سوسير بفضل آرائه صار محجّة لكثير من الباحثين لبناء نظرياتهم ولبناء علوم جديدة كالسيميولوجيا، إن سوسير صار بذلك قطبا لا يمكن الانفصال عنه في الدّرس اللغوي، وصار يقدّم الحلول في كلّ معضلة لغوية، لأن الباحثين كانوا بحاجة إلى نظرية لغوية علمية بعيدا عن الخلط والسّطحية، وعدم وجود نظرية لغوية قارّة تسمح فيما بعد لتطبيقها على المشكلات اللغوية التي تُطرح، فكل مجال من مجالات المعرفة في بداية القرن العشرين اكتسب طرائق علمية للكشف والمتابعة، فكان من حظ سوسير أن يترأس حقل البحث اللغوي، فيؤسس للسانيات التي تبنّاها كل الدّارسون من مختلف المشارب اللغوية، إنّ لنظرية سوسير في اللغة قدرةً كبيرة على الجذب والإقناع بفضل الوصف والاستقراء العلمي للظواهر البشرية ولصلاحية أفكاره على كل اللّغات بفضل التّعميم والبحث عن الكلّيات اللغوية.

هـ) مهمّة اللسانيات عند سوسير

---

1 ميشال أريفيه، البحث عن فردينان دو سوسير، تر: محمد خير محمود البقاعي، الكتاب الجديد المتحدة، ط1، لبنان، 2009م، ص: 33،34.

لقد حدّد سوسير مهمّة اللسانيات حتّى لا يضيع مجهود الباحث سدًى، فمهمّة اللسانيات تتمثّل في: " أ- أن تقوم بالوصف والتّأريخ لجميع ما يمكنها أن تبلّغه من اللغات.

ب- أن تبحث عن القوى العاملة عملا دائبا مستمرًا في جميع لغات العالم وأن تستخلص القوانين العامة التي إليها يمكن إرجاع جميع الظواهر الخاصة بتاريخ اللغات.

ج- أن تحدّد موضوعها وتعرّف ماهيتها.

وعلى هذا الأساس، فإنّه يتعيّن على الألسني حسب دي سوسير أن يدرس جميع اللغات سواءً في ذلك قديمها وحديثها، فصيحها وعامّيها، المكتوب منها وغير المكتوب (فلا مجال عنده بعد ذلك للغة أو حقبة محمودة) دراسة آنية (وصفية) أوّلا ثم دراسة زمانية (تاريخية) ثانيا. كما ينبغي أن يكون هذا العلم علمًا كونيا وأن يكون وضعه أقرب ما يكون من وضع العلوم الصحيحة (وبذلك يتميّز عن النّحو الخاص بهذه اللغة أو تلك)"[1]؛ فحسب هذه الفكرة، فإن اللساني الناجح هو ذلك الباحث في لغات ولهجات كثيرة حتى يفهم طبيعة عمل النّظام اللغوي، ومن خلال ذلك سيكتشف -لا محالة- العامل والظّواهر المحرّكة لكلّ اللغات، أي يبحث عمّا يجمعها من نقاط في العمق الحركي للغات، كما أن اللسانيات عليها أن تكون مضبوطة مادتها اللغوية، ولا خروج عن الإطار اللغوي، واللسانيات لا تفرّق ولا تفاضل بين اللغات، ولا تميل للغة دون أخرى، وكل إنتاج لغوي يكتسي أهمية، مكتوبا أو منطوقا، بسيطا أو راقيا، ما يهم هو السعي لاستخراج قواعد وقوانين عامة لكل النتاجات اللغوية البشرية، بعد القياس والحساب والدقة العلمية الموجودة في العلوم التجريبية على سبيل المثال، حتّى لا نبقَ ندور في حدود النحو الخاص أو علم اللغة الخاص.

و) الانتقادات الموجهة لسوسير

أي نظرية في العلم إلاّ ولها انتقادات، ولعلّ من أبرز ما قدّم لدى سوسير هو فكرة اعتباطية العلامة اللغوية،"...فقد عارضوها على وجه الخصوص بأنه توجد في جميع اللغات كلمات محاكية للأصوات (من قبيل غرغرَ في العربية و Glouglou في الفرنسية و Gargle في اللغة الانجليزية إلخ). يبدو من خلالها أنّ للدال علاقة تماثل صوتي مع المدلول. وقد ألحّ بعض الدّارسين الآخرين

---

1 فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص 353.

على أنّ العلاقات الترابطية الذاتية هي من الأهمية –لدى مستعملي هذه اللغة أو تلك، إذ يربطون بين الدّوال والمدلولات ربطًا تلقائيا– بحيث يستحيل القول بالاعتباطية. ولعلّ الاعتباطية إن وجدت فإنّما هي في المنطلق لا في المنتهي. لكن الرأي السائد اليوم أنّه بالرغم من ذلك الاعتراض الذي يستند أصحابه إلى الكلمات المحاكية للأصوات، وهي على ذلك نادرة جدًا في اللغات، فإنّ فكرة الاعتباطية الرابط الذي يربط بين الدّال والمدلول والذي تفسره ضرورة ما سمي بالاقتصاد الصوتمي..."[1]؛ وقد وجد هذا النقاش عند الدّارسين العرب القدامى من أن اللغة أإلهامٌ أم اصطلاح، فهناك من يرَ بأن اللغة في بداياتها لم تكن من تواضع الإنسان والاعتباط، ولكن ما يغلب على آراء اللغويين هو فكرة الاعتباطية، لأن الإنسان اكتشف الحروف وراح ينسقها بحسب سهولة النطق لتشكيل دوال ونسبها لمدلولات معينة، ما يشكّل الاقتصاد اللغوي، أي مجموعة محدودة من الأصوات نشكّل منها عدد كبير من الكلمات، فهذا الانتقاد يعتبر بسيطا جدّا مع حجم ما قدّمه سوسير لعلم اللغة والدراسات اللغوية من بعده.

ز) تنبّأ سوسير بالسيميولوجيا

لقد كان الفضل لسوسير أن كشف على ضرورة وجود علم أوسع من اللسانيات يدرس العلامات اللغوية وغير اللغوية، قال في كتابه:" إن اللغة نظام من الدلائل يعبّر عمّا للإنسان من أفكار، وهي في هذا شبيهة بالكتابة وبألفبائية الصّم والبكم، وبالطّقوس الرّمزية، وصور آداب السلوك وبالإشارات الحربية وغيرها، إلاّ أن اللغة أهم هذه الأنظمة جميعها. وإذن فإنّه من الممكن أن نتصوّر علما يدرس حياة الدلائل في صلب الحياة الاجتماعية، وقد يكون قسما من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي قسما من علم النّفس العام. ونقترح تسميته Sémiologie، أي علم الدلائل وهي كلمة مشتقة من اليونانية Sémeion بمعنى دليل. ولعلّه سيمكننا من أن نعرفممّ تتكون الدلائل والقوانين التي تسيّرها، ولما كان هذا العلم غير موجود بعد فإنه لا يمكن أن نتنبّأ بما سيكون، ولكن يحق له أن يوجد، ومكانه محددٌ سلفا. وليست الألسنية سوى قسم من هذا العلم العام. والقوانين التي سيكشف عنها علم الدلائل سيكون تطبيقها على الالسنية ممكنا، وستجد الألسنية نفسها ملحقةً بميدان محدد المعالم مضبوط ضمن مجموع الظواهر البشرية"[2]؛ لقد كان تنبّأ سوسير في محلّه، حيث أنّه بالرغم من تخصصه

1 المرجع السابق، ص 364.

2 المرجع نفسه، ص 37.

اللغوي، إلاّ أن ذلك لم يمنعه من الاعتراف بضرورة وجود علم اللغة، وقد تزامن طرح سوسير مع طرح شارلز سندرس بيرس بأمريكا، حتّى وأنهما لم يلتقيا أو يقرآن لبعضهما البعض. فالعلامات اللغوية تسند إلى العلامات غير اللغوية لتحقيق التواصل بين البشر، فيمكن في بعض الحالات أن يكون التواصل غير اللغوي أكثر ضرورة من التواصل باللغة، كالإشارة باليد أو الخد او اللباس أو الحركة او الإشارات البحرية وإشارات المرور وغيرها من وسائل التّدليل والإيصال، إن اللسانيات صارت سندًا للسيميولوجيا في تشكيل أنظمتها، والمعاني كلّها تتكون في ذهن الإنسان وتنشط هناك مهما كان نوع العلامة، فاللسانيات والسيميولوجيا متكاملان ويخدمان أنساقهما بالتناوب. إن سوسير كان يضع الأفكار وهي تحتاج للنضج أكثر، ولكنّها تصوّرات اتسمت بالعمق والصّواب، لم يجد متّسعا في وقته ليطوّرها أكثر ولكنّها وجدت طريقها بعد وفاته، فلا يوجد أي ألسني أو سيميولوجي إلاّ ويعترف بفضل سوسير في تصوّراته.

المبحث الثاني: حلقة براغ الوظيفية (1928م-1939م)

أ) ميلاد حلقة براغ

تعتبر حلقة براغ أو التوجه الوظيفي في اللسانيات من أولى تطبيقات لسانيات سوسير لإنشاء نظرية لغوية،" على أنّ الولادة الفعلية للحلقة كانت حين قدّم جاكبسون بيانا حرّره برفقة زميليه الرّوسيين تروبوتسكوي وكارسيفسكي سنة 1927، وعرضوه أمام أعضاء الحلقة لمناقشته وتعديله، ثمّ أُلقي في المؤتمر العالمي لعلوم اللسان المنعقد بلاهاي سنة 1928، وقد أُعتمد هذا النّص في السنة الموالية لصياغة المبادئ العشرة التي رُفعت إلى مؤتمر الفلاسفة السلافيين المنعقد في براغ سنة 1929. هذه المبادئ سميت أطاريح حلقة براغ ونشرت في الجزء الأول من أعمال الحلقة. كانت الفكرة الأساسية في تلك الأطاريح هي ضرورة النظر إلى اللغة كنسق وظيفي بحيث لا يمكن فهم أي واقعة لغوية من دون الأخذ بعين الاعتبار النسق الذي تنتمي إليه. ومعنى كون نسق اللغة وظيفيا لا يقتصر على أنّ عناصره لا يمكن أن تُدرس بمعزل عن بعضها بعضا فحسب، بل أنّ هذه اللغة تلعب أيضا وظيفة، بمعنى أنّها تشكّل نسقا موجّها إلى هدف، شأنها في ذلك شأن باقي إنتاجات النّشاط الإنساني، وهذا الهدف هو التّعبير والتواصل. فالوظائف هي التي تنظّم بنية اللغة، وهذه البنية يمكن أن تتغير بحسب الوظائف التي تؤدّيها، إذ إنّ التّغييرات التي تطال البنية الصوتية والبنية النّحوية

والتّأليف تتوقف على تلك الوظائف"[1]؛ فالمنتمون لحلقة براغ أخذوا من عند سوسير تصورهم، وركّزوا على مصطلح وظيفة اللغة هي التواصل، وفكرة البنية اللغوية عند سوسير، فكل جزء من اللغة يخضع لتأثيرات معينة مع بقية الأجزاء، إذ أن اللغة عبارة عن نظام منطقي متناسق، فالبنية قوامها مستويات متراتبة صوتا، معجما، تركيبا، ودلالة، وعندما يتغير النمط التواصلي والهدف التواصلي تتغير البنية اللغوية بتحريك أحد أجزائها المترابطة، فاللغة نشاط إنساني هدفه التواصل، كما أن هذا الإنسان ينتج أنظمة أخرى غير لغوية بغرض التّواصل، إن دراسة علاقات أجزاء اللغة تفهمنا في نظام عملها وكيفية تحقيق التواصل، فاللساني الوظيفي يبحث في كيفية تغيّر بنى اللغة وكيفية تأثّر تلك البنى على طبيعة التّواصل.

ب) الوظيفة عند حلقة براغ

ركّز روّاد حلقة براغ على مفهوم الوظيفة، فـ:"...قد عمل أعضاء حلقة براغ على صياغة تصور عام قادر على ضبط مجمل الوظائف التي يقوم بها اللسان البشري، أي الاستعمالات الممكنة للسان وسبل تحقيقها عبر ما يطرأ عليه من تغييرات في البنية الصّوتية والتركيبية والدلالية والأسلوبية والمعجمية، إنّ دراسة اللسان تتطلب اعتبار تنوع الوظائف اللغوية وطرائق تحقيقها في حالة معينة، وعندما لا نستحضر هذا المطلب، فإنّ دراسة لسان معيّن، سواءً أكانت تزامنية أم تعاقبية، تجد نفسها بالضرورة مُنحرفة عن هدفها الحقيقي، ذلك أن وظائف اللغة ووسائل تحقيقها تُحدث تغييرات هامّة في البنيات الصوتية والنّحوية والتّكوين المعجمي للسان معيّن"[2]؛ ولهذا سمّيت حلقة براغ بالتوجه الوظيفي بجزمهم أن الوظائف أو الغايات التّواصلية هي التي تتحكّم في كل البنى المنجزة، يمس هذا التّغيير بالأساس الصوت الوظيفي أو الفونيم، وبتغيير الفونيم تتغير كل المعادلة اللغوية، إنّ وجود الإنسان مرتبط بالتّواصل، وإنّ التّواصل وظيفة هامّة لوجود الإنسان، ولهذا مفهوم الوظيفة هو الذي يتحكّم بكل نسق من الأنساق اللغوية، كما أننا نرى أنّ روّاد حلقة براغ كانوا يزاوجون ما بين الدّراسة الآنية والزمانية من دون التخلّي عن المفهوم الوظيفي للأنساق اللغوية.

---

1 محمد التهامي العماري، "من اللسانيات البنيوية إلى سيميائيات المسرح، إسهامات حلقة براغ اللسانية"، مجلة أنساق، المجلد 03، العدد 01، 2019، نشر جامعة قطر، ص 96.

2 مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، لبنان، 2013، ص 225.

لقد كان لمفهوم "الوظيفة" الأهمية الكبرى عند روّاد حلقة براغ، بحيث:" تتحدد قيمة اللغة الإنسانية انطلاقا من وظيفتها بوصفها وسيلة اتّصال يتخذها أفراد المجتمع اللغوي لتحقيق عملية التّواصل، فلم تعد اللغة شكلا فحسب، بل أمست وظيفة، فقيمة العنصر اللساني داخل النسق اللساني تكمن في وظيفته التي يؤدّيها، وفي موقعه الذي يحتله في سلسلة العناصر المكوّنة للأداء الفعلي للكلام، وكان مصطلح الوظيفة المرتكز الأساس الذي تجمّعت حوله أفكار جماعة براغ...هناك حرص شديد لدى أتباع مدرسة براغ على إعادة الاعتبار للبعد الوظيفي للغة الإنسانية، من حيث هي وسيلة يستخدمها أفراد المجتمع اللغوي لتحقيق عملية التّواصل، ومن ثمّة فإن قيمة العنصر اللغوي داخل النّسق اللساني تكمن في وظيفته التي يؤدّيها، وليس في شكله فقط. هذه الوظيفة هي التي تعزز وجوده ضمن العناصر الأخرى التي تكوّن سياقه المألوف في النسق اللساني"[1]؛ فروّاد حلقة براغ اكتسبوا الاهتمام بطرحهم بسبب مفهوم الوظيفة، فقد تأثّروا بسوسير في فكرة أن اللغة شكل ونظام، وركّزوا على الوظيفة التي تقوم بها الوحدات داخل النّظام، فعلى اللسانيين حسب رأيهم إدراك طبيعة الوظائف، وكيفية ممارسة العناصر وظيفتها داخل البنى المنظّمة، إنّ لكل شيء في الوجود المتناسق وظيفة، لقد أعطوا وظيفة الأصوات الأهمية الكبرى، لأن الصوت أهم لبنة تبنى عليها الأنظمة اللغوية.

ج) وظائف اللغة عند رومان جاكبسون

يعتبر "رومان جاكبسون" (Roman Jakobson) من أشهر منظّري حلقة براغ، و"لعلّ أشهر نموذج للوظائف في اللسانيات البنيوية تمّ فيه تحديد وظائف اللغة بشكل واضح ومضبوط هو النّموذج الذي وضعه رومان جاكبسون، وهو تطوير لما ورد عند الفيلسوف الألماني بوهلر Karl Buhler (عضو في حلقة براغ أيضا). ميّز بين ثلاث وظائف أساسية:

– الوظيفة التّمثيلية...–الوظيفة التّعبيرية...–الوظيفة النّدائية.

وقد أضاف إليها جاكبسون ما تضمنته أطروحة حلقة براغ الثالثة حول وظائف اللغة، بالإضافة إلى بعض الأفكار التي أفرزتها في منتصف القرن العشرين نظرية التّواصل Théorie de la

---

1 أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدّراسات الإسلامية والعربية، ط2، الإمارات العربية المتحدة، 2013، ص 57.

communication عند شانون (Claude Shanon) و ويفر (Weaver) (1916-2001).
انطلاقا من البنية العامة لعملية التواصل بين المتكلّم والسامع، حدّد جاكبسون المكونات الستة التي تقوم عليها بنية التّخاطب وهي:

1- المرسل (المتكلّم) Destinateur

2) المستقبل (السامع) Destinataire

3) الإرسالية (الخطاب) Message

4) الاتصال Contact

5) المرجع Référent

6) الشفرة Code "[1]؛ فالجملة التّواصلية يكتنفها العديد من العلاقات والتشابكات، لابد من وجود نية تجاه من يراد التّواصل معه، كما أنّ اللغة لابدّ أن تكون مشتركة لضمان الاتصال، ولابدّ من وجود مرجع زماني ومكاني يحكم العملية التّواصلية، كما أنّ اللغة عبارة عن رموز وشفرات يفسّرها الدّماغ ويحللها ليفهم تركيبتها، إنّ هذا النّموذج الذي جاء به جاكبسون اعتمد عليه الكثير من اللّسانيين لفهم العملية اللغوية، وكلّ نشاط أو عمل لغوي بسيط أو مركّب لابدّ من وجود كلّ الوظائف الستّة التي ذكرها جاكبسون، وإنّ اختلال أي عنصر من العناصر السّابقة سيؤدّي حتمًا إلى انعدام التّواصل، كما أنّ هذه الخطاطة موجودة عبر كلّ لغات العالم ما يمنحها العمومية والقدرة على اتساع التّطبيق.

د) تأسيس علم الأصوات الوظيفي Phonologie

لقد أسّس روّاد حلقة براغ "علم الأصوات الوظيفي":"...موضوعه دراسة الخصائص الوظيفية للأصوات من حيث كونها وحدات وظيفية لها أثر في البناء التركيبي والدلالي للسان. ولذلك فإنّ موضوع علم الأصوات الوظيفي ليس الصّوت في هيئته الطبيعية (العضوية والفيزيائية)، تلك الهيئة التي تتشكّل من صدى الصّوت عبر مجراه داخل جهاز النّطق عند الإنسان، بل موضوع علم الأصوات الوظيفي محدد في الصّوت اللغوي من حيث هو وحدة وظيفية تسهم في بناء النّسق اللساني

---

1 مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، ص: 229، 230.

(العلاقة المتشابكة بين الصوت والتركيب والدلالة). ومن ثمّة فإنّ إبراز الجانب الوظيفي للصوت اللغوي والميز بين الصوت من حيث كونه أثرا سمعيا طبيعيا، ومن حيث كونه وحدة صوتية وظيفية تسهم في إحداث الدلالة وتنويعها وتفريعها جعل علم الأصوات الوظيفي (Phonologie/Phonologie) يمتلك شرعية وجوده بوصفه علما مستقلا يختلف عن علم الأصوات العام الذي يتعامل مع الأصوات في جانبيها الفيزيولوجي والفيزيائي، ويتعقّب مسارها في مصدرها النطقي ومآلها السمعي"[1]؛ فقد كان قبل استحداث علم الأصوات الوظيفي وجود لعلم الأصوات النطقي، فلم يعد يقتصر في الجانب الصوتي الدراسة المادية للصوت وموقعه على جهاز التّصويت، بل تمّ إضافة دراسة كيفية أن الصوت يساهم في صنع الدلالة وإحداث التّركيب عن طريق المجاورة للأصوات المختلفة، فهناك تأثيرات أفقية للأصوات وتأثيرات استبدالية، فقد تميّز روّاد حلقة براغ في هذا المجال وذلك لقدرتهم على الكشف عن جوانب جديدة للصّوت لم تكن مطروقة، وكذلك لقدرتهم على اكتشاف قوانين تحكم الأصوات، ويمكن لهذه القوانين الصّوتية أن تطّرد وتعمم عبر كل لغات العالم، بمعنى أنّهم استطاعوا تطبيق فكرة البنية والنّظام على العنصر الصّوتي انطلاقا من وظيفته.

هـ) الفونيم عند حلقة براغ

يعتبر مفهوم "الصوتة" (الفونيم) من أهم الاصطلاحات التي ناقشها روّاد حلقة براغ، لأنّها تحتلّ مكانا جوهريا في صناعة اللغة،" من الأسس المتينة التي قامت عليها الصّواتة البنيوية عند حلقة براغ مفهوم الصّوتة Phonème التي يرجع الفضل في صياغته نظريا وعمليا إلى عالِم الصّواتة تروبتسكوي، والتمييز بين الأصواتية والصّواتة...مردّه إلى الوظائف (الأدوار) التي يمكن أن تقوم بها الصوتات في تغيير معاني الكلمات...الصّواتة تهتم بالسّمات الصوتية التي تميّز الكلمات بعضها عن بعض...الكلمة الواحدة تختلف عن أختها بوجود (شيء ما). وأنّ اللّسان يتوفّر على عدد محدود من هذه الأشياء التي تقوم بتغيير معاني الكلمات. ما نقصده بهذه الأشياء هو الصّوتات التي تشكّل قوام النسق الصّواتي الخاص بكلّ لسان على حدة. ويمكن أن نميّز بين عدّة تصوّرات حديثة في تعريف الصّوتة وهي: التصور المادي، التصوّر العقلاني، التصوّر التّجريدي، التصوّر الوظيفي"[2]؛ فلقد طوّر

1 أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 60.

2 مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، ص: 238، 239.

كثيرا روّاد حلقة براغ خاصة تروبتسكوي نظام الدّراسة الصوتية ومفهوم الفونيم، فالكلمات تتمايز عن بعضها وبوظائفها حسب تمايز الأصوات، ويمكن لخصائص صوتية محدودة تشكيل مالا حصر له من الكلام، كما أنّ أداءات هذه الفونيمات يتعدد حتّى في اللغة أو اللهجة الواحدة، لقد تعمّق وظيفيوا حلقة براغ في الدّراسة الصوتية سواءً على مستوى الجانب المادّي البحت من حيث مواقع الصوت على مستوى جهاز التّصويت أو دراسة الصوت من النّاحية السيكولوجية الذّهنية أو على مستوى التركيب والمجاورة الصّوتية، فلقد طرقوا طريقا بكرًا في المعالجة الصّوتية ضمن نطاق البحث اللّساني الحديث.

و) الملامح المميزة

طوّر "تروبتسكوي" عن طريق بحوثه فكرة التّدقيق في الدّراسة الصوتية، وكشف ملامح الصّوت ومقارنته بالأصوات الأخرى عن طريق المقابلة معها، فقد طوّر فكرة:"...تقابلات مبنية على أساس القوّة التّمييزية للأصوات، هذه الطّريقة التّحليلية تتعامل مع الوحدة الصّوتية في نهاية المطاف على أنّها الوحدة التي لا يمكن تجزئتها إلى أصغر منها. وقد طوّر تروبتسكوي طريقة أخرى مبتكرة وهي تحليل الوحدات الصّوتية على أساس ما أطلق عليه الخصائص المميزة للأصوات (Distinctive properties of phonemes)، وتعدّ فكرة الخصائص المميزة للأصوات من الإسهامات الجوهرية لمدرسة براغ، حيث إنّها شكّلت نواة (نظرية الملامح المميزة) التي صاغها كل من شومسكي و هال في كتابهما الرّائد The sound pattern of english 1968، وهو الكتاب الذي أرسى مبادئ (الفونولوجيا التّوليدية)، وقد برزت نظريات جديدة أخرى في التّحليل الفونولوجي، ولكنّ نظرية الملامح المميزة ما تزال ركنًا أساسيا في الدّراسة الفنولوجية المعاصرة. درس تروبتسكوي الأنظمة الصّوتية لعدد كبير من لغات العالم، وكان شغوفًا بتتبع تفاصيل المظاهر الصّوتية في كلّ لغة وتدوين الملاحظات، ومقارنة المظاهر الصّوتية المطّردة، وتصنيف التقابلات الصّوتية في الأنظمة الفنولوجية، وتعدّ هذه النظرية ثمرة كلّ المجهود البحثي"[1]؛ فالصّوت هو أساس النّظام اللغوي، ويعتبر أصغر وحدة غير دالة يصل إليها التّحليل، فتروبتسكوي كان له الأثر الكبير على كلّ الدّراسات الصّوتية فيما بعد، حتّى

1 يحي علي أحمد، "التحليل الفنولوجي وفق منظور مدرسة براغ، صفحة في تاريخ علم اللغة"، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 05، العدد 04، الأردن، 2009، ص 25.

المتأخّرة منها، وذلك لأنّ القوانين والاطرادات متواجدة في النّظام التّركيبي لكل اللغات، يمكن أن نجد هذا الاطّراد والتقنين حتّى في الأنظمة الصوتية، ونستطيع تعميم هذه الاطّرادات على كلّ الأنظمة اللغوية عن طريق تدقيق النّظر في المكوّنات الصوتية ووصفاتها وكيفية ربطها وتنظيمها ومجاورتها، ولا يمكن تحقيق النّظر في النّظام الصوتي والملامح المميزة إلاّ عن طريق التّدوين والحساب ثم إجراء التقابلات والمقارنات لكشف الظّواهر.

ز) المستوى الصرفي عند حلقة براغ

مثلما اهتمّت حلقة براغ بالمستوى الصّوتي، اهتمّت كذلك بالمستوى الصّرفي،" وهي دراسة تدور حول المورفيم Morphème الوحدة المميزة الصّغرى في التّحليل القواعدي، وله أهمية خاصّة في الدّراسة الصّرفية. ويعدّ بديلا علميا لمفهوم الكلمة، وذلك لصعوبة التّعامل بها في مجال الدّرس الصّرفي، لأنّه يمكن أن يكون المُراد بها، أي الكلمة: البنية التركيبية كأن تقول:[ألقى الرّئيس كلمة]، وأنت تقصد بـ [كلمة] خطابا، لذا ينظر إلى المورفيم بوصفه وحدة وظيفية صغرى في تركيب الكلمات، فكلمات مثل: (رجل–حصان–في–على) هي كلمات ومورفيمات في آن واحد يمكن النّظر إليها هكذا، غير أنّ كلمة: (كقولنا) تستطيع أن تحللها إلى ثلاثة مورفيمات: عقل+مورفيم الجمع (صيغة الجمع)+نا. ومورفيم الجمع تحقق في مستوى النّطق الفعلي وهو مورفيم مجرّد. وقد لا يتحقق المورفيم في الكلام المنطوق، فهو مورفيم مغاير ذو وضع (صفر) أو فارغ نحو قولك: (شمس) التي لا أثر فيها لعلامة التّأنيث كما ترى كذلك نقول: إن التحقق المورفيمي فيها :[صفر–فارغ]..."[1]؛ فالمورفيم مصطلحٌ تبنّاه روّاد حلقة براغ لأنّه ذو صبغةٍ وظيفية، قد يظهر من خلال التّحليل البنيوي للجمل وقد لا يظهر بالرّغم من وجوده، أي يكون تقديريا، فالمورفيمات هي التي تجمع الأصوات وتضمّها وبها تصير اللغة أكثر وظيفية، والمورفيمات عددها محدود في كلّ اللغات، لأنّ اللامحدودية تتحقق في الجمل وليس في الصّوت والمورفيم، فهناك أنواع من المورفيمات تتسم بالوضوح، مثل: سيارة، حصان، سائق، وهناك مورفيمات مقيّدة مثل الضمائر، ثمّ هناك مورفيمات مجرّدة مثل التّانيث في مورفيم [الشمس].

ح) المستوى التركيبي عند حلقة براغ

---

1 سعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، القاهرة، 2008، ص: 76، 77.

قدّمت حلقة براغ تصورها حول دراسة المستوى التركيبي، فقد:" بنت مدرسة براغ تحليلها للتركيب على منظور الجملة الوظيفي الذي حاول إفيلام متيزيوس Villem Matheslus (1882م–1945م) تطويره وتطبيقه على اللغة التشيكية والإنجليزية وبعض اللغات الأوروبية. والمحصّلة في هذا المجال أن الشكل العام لمنظور الجملة الوظيفي في اللغات كلّها قائمٌ على الترتيب المفرداتي. وقد بنت مدرسة براغ منهجها على الأساس في تحليلها للجمل، وذلك بالنّظر إلى مضمونها الإخباري، وهو مطبّقٌ حتّى الآن في تشيكوسلوفاكيا وبعض الدول في أوروبا، فكل عنصر أساسي في الجملة له مساهمة أو دور دلالي، وذلك بحسب الفعالية التي يقوم بها في عملية الاتصال. ويمكن النّظر في هذا الإطار إلى ترتيب مكونات الجملة كما يلي:

أ) يأتي الموضوع أوّلا ب) يليه الخبر ثانيا.

وفي حالة التّوكيد على الخبر يلجأ إلى التقدّم أو التّاخير"[1]؛ فتصوّر حلقة براغ في التحليل التّركيبي منبنٍ على ترتيب المفردات، فأي تغيير في التّرتيب يعني تغييرا في الوظيفة، كما أنّ هذا التّرتيب يكون منطقيا في كلّ لغة. إنّ الوظيفة في التّركيب تظهر في كون كلّ مفردة تحقق دلالة معيّنة تجعلها تحتل موقعا خاصًّا داخل التّركيب، إنّ غاية اللّساني هو إنشاء التّراكيب لتحقيق وظيفة اللغة التواصلية، وهذه التّراكيب لها ترتيباتها وصياغتها ضمن مواضع متّفق عليها سلفا بين المتكلّمين.

ط) اهتمام رواد حلقة براغ بدراسة الأنساق اللغوية وغير اللغوية

استطاع روّاد حلقة براغ إنشاء علم يدرس الأنساق الدالة اللغوية وغير اللغوية بتجسيد أفكار سوسير،" وعلى الرّغم من ارتباط اسم هذه الحلقة باللسانيات، فإنّ اهتمام أعضائها لم يقتصر على الظّواهر اللغوية، بل شمل أيضا دراسة الأدب والفنون بمختلف أنواعها والفولكلور والثقافة الشعبية...ولعلّ أعظم إنجاز قام به أعضاء هذه الحلقة هو أنهم حاولوا نقل الطّرائق والمفاهيم والإجراءات التي استحدثوها في مجال دراسة اللغة الطبيعية، ولاسيما في جانبها الفونولوجي إلى أنسقة ثقافية أخرى، لفظية كانت كالأدب، أو سمعية كالموسيقى أو بصرية كالنحت والتصوير، أو تجمع بين كلّ ذلك كالمسرح والسينما. وبما أن اللغة الطبيعية هي النسق التواصلي الأشيع، فقد اتخذوه نموذجا

1 المرجع السابق، ص: 77، 78.

لتحليل تلك الأنسقة مستثمرين الأدوات التحليلية والمنهجية التي صيغت لاكتشاف القوانين والقواعد التي تحكم الأنسقة الأخرى التي كانت دراستها ما تزال بدائية. بعبارة أخرى كان رواد حلقة براغ من الأوائل الذين سعوا إلى تحقيق حلم فيرديناند دو سوسير (Saussure.f.de) باستحداث علم لا يقتصر على دراسة العلامات اللسانية، بل يتجاوزها إلى كافة أنواع العلامات والأنسقة الدالة"[1]؛ فروّاد حلقة براغ الوظيفيين استطاعوا فهم عمّا يرمي إليه سوسير، واستطاعوا تعميم الاكتشافات اللغوية على الأنساق الدّالة غير اللغوية، لأن التّواصل يتم بطرائق شتّى لسانية وغير لسانية، فسوسير وجد فضاءً للتوسع في أفكاره عند روّاد حلقة براغ، فقد كانوا يرون أنّ الدلالة تتم عن طريق البنى المتناسقة التي تعضد بعضها بعضا، ففي اللغة كانت النواة الأساسية لدراسة النظام اللغوي هي الفونيم الوظيفي الذي يتبادل علاقات وتأثيرات مع الفونيمات المتجاورة وأي تغيّر في التّواصل يصحبه تغيّر في الفونيم، كما أن التّواصل غير اللغوي له سمات تتغير بتغيّر المواقف، وفيه علاقات تأثيرية متبادلة.

ي) نتائج حول حلقة براغ

استخلص الباحث "فوزي حسن الشّايب" مجموعة من النّتائج حول حلقة براغ نذكرها:[2]

1- إن مبدأ النسبية الذي تتسم به المفاهيم اللسانية جعلها محلّ نظر وتطوّر مستمرّين، والترجمة العملية للتطوّر تتمثّل في المدارس اللسانية التي تعدّ محطّات ومعالم فكرية بارزة في مسيرة اللسانيات، ينسل بعضها من بعض، ويكمّل بعضها بعضا.

2- إنّ ربط مدرسة براغ للغة بالواقع، والأفراد الذين يتكلّمونها أضفى عليها سمة الواقعية، إذ اللغة ليست غاية في حدّ ذاتها، وإنّما هي وسيلة للتّواصل ولتحقيق أغراض اجتماعية محددة، وعليه فاللغة لا توجد إلاّ من خلال الإنسان، ومن أجل الإنسان، وفي الإنسان.

3- إنّ الوسطية أو المذهب التّوفيقي الذي اتسمت به مواقف مدرسة براغ أكسب طروحاتها، وأفكارها أهمية ومصداقية كبيرة، إذ الطّريقة التوفيقية بين المذاهب هي التي تكمّل النّجاح والاستمرارية للأفكار

---

1 محمد التهامي العماري، "من اللسانيات البنيوية إلى سيميائيات المسرح، إسهامات حلقة براغ اللسانية"، ص 97.

2 فوزي حسن الشايب، "مظاهر الوسطية في مواقف براغ اللسانية"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد: 30/119، جامعة الكويت، 2012، ص: 23، 24.

ووجهات النّظر، خلافا للآراء الفردية المتّسمة بالحدّة والصرامة التي سرعان ما تجعل من نفسها هدفا لسهام النّقد والطّعن، فتحمل بذلك معول هدمها...

فلقد كانت مجهودات حلقة براغ بمثابة تحدٍّ كبير، وذلك بسبب عدّة عوامل، منها الظّروف السّائدة في تلك الفترة المتمثّلة في الحرب العالمية، ومنها أنّهم تبنّوا أفكار سوسير بالرّغم من حداثتها، وفهموها واستوعبوها وراحوا يبنون عليها نظريات خاصّة باللغة، لقد كان طرح حلقة براغ وظيفيا نابعا من اللغة في الإفادة والتّوظيف الفعلي، بمعنى إعطاء قيمة لكلّ جزء في اللغة للمساهمة في صناعة النّظام، وقد استطاعوا كتابة أفكار وآراء حول اللغة لاقت رواجا واستجابة كبيرة لا يزال صداها ممتدًّا إلى اليوم. فقد كانت آراءهم عامّة وعالمية استطاعت جلّ الثقافات استيعابها والإفادة منها في كلّ مناحي اللغة،؛ التعليمية وصناعة المعاجم والترجمة وعلاج مشاكل النّطق. لقد عاصر وظيفيّوا حلقة براغ اللسانيات التّاريخية وبرعوا فيها ولكنّهم لم يستمرّوا فيها، بل أفادوا منها في الدّراسة الآنية من خلال فهم نظام العديد من اللغات واللهجات، إلاّ أنّهم فضّلوا مثل سوسير الفصل بين الدّراسة التاريخية والآنية. فقد امتدّ تأثير هذه المدرسة عبر الحدود إلى أنحاء أوربا والو م أ، بفعل جدّية الطرح ومنطقيته وبفعل هجرة الكثير من العلماء الوظيفيين إلى أمريكا ومن أبرزهم جاكبسون. إنّ فكرة الوظيفة التي أثراها رواد حلقة براغ امتدت عبر الزمن من وقتهم إلى معالجاتنا اللغوية اليوم عربيا وغربيا.

المبحث الثالث: المدرسة الوظيفية لأندري مارتيني André Martinet (1908م-1999م)

أ) من هو أندري مارتيني؟

أندري مارتيني:" أحد أبرز الألسنيين المعاصرين، مؤسس النّظرية الألسنية الوظيفية. أستاذ شرف في جامعة رنيه ديكارت في باريس. أسس عام 1965 مجلة La linguistique وهو يرأس...لجنة تحريرها. أسس عام 1976 الجمعية الدّولية للألسنية الوظيفية (Silf) وسمّي رئيس شرف لها. حائز على عدّة أوسمة وجوائز تقدير وألقاب فخرية من مختلف الدّول والمؤسسات العلمية الدّولية، ألّف أكثر

من عشرين كتابٍ مرتبطٍ بعضها بتاريخ الألسنية الحديثة، وكتب أكثر من ثلاثمائة مقال ودراسة نقدية، ترجمت مؤلّفاته إلى تسعة عشر لسانا منها العربية"[1]

ب) أهداف وظيفية مارتيني

للسانيات الوظيفية عند مارتيني هدف وغاية، حيث يحدد مارتيني ذلك بقوله:" تسعى الألسنية الوظيفية لأن تتحدد كدراسة للألسن، متعارضة في هذا التّحديد مع تيارات ألسنية أخرى معاصرة تتشدد أكثر على كون الألسنية دراسة للغة، وأكاد أقول أيضا (للسان). فنحن لا نستطيع أن نقبل على اللغة الإنسانية إلاّ على شكل ألسن خاصّة، وبما أنّني واقعي، فأنا أعتقد أنّه قبل محاولتنا فهم التّراكيب (الأنظمة)، علينا دراسة الظّواهر الإدراكية أوّلا، أي الظّواهر التي تتعلق بألسن خاصّة. من هنا فإنّ ما يميّز الألسنية الوظيفية في العمق عن غيرها من النّظريات الألسنية، هو إدراك الوظيفيين هذه الإمكانية الوحيدة للنّفاذ إلى اللغة الإنسانية بواسطة الألسن. إنّ الألسنية الوظيفية هي ألسنية تهدف إلى أن تكون واقعية، إنّها ألسنية العرف، الأمر الذي يعطيها لدى بعض الأشخاص نوعا من عدم الرضا. فالنّاس ميّالون جدًّا للمقولات العامة. إنّهم يعتقدون بوجوب مقاربة المشاكل في إطار عام جدّا، أي إطار فلسفي ابستومولوجي، وبالتّالي فإذا أكّدنا لهم أنّه يتوجّب عليهم، وقبل كلّ شيء التبصّر في التنوع اللغوي الحاصل، عندها لابدّ أن تبرز خلافات أساسية كثيرة بينهم. أظن أنّ علينا الانطلاق من الحقيقة المرئية، كي نرتفع بعد ذلك إلى الاعتبارات الفلسفية الابستومولوجية"[2]؛ فمارتيني يدعونا أن نكون أقرب إلى الواقع والحقيقة لإعطاء نظرية لسانية عامّة، إنّه يدعونا لدراسة الألسن وتنوعاتها (لهجة أو لغة) لفهم الطّابع الإدراكي للغات ثمّ القيام بعملية، فالإحاطة بمجموعة كبيرة من اللغات ووصفها وتحليلها سيعطينا فكرة عن النّظرية العامة والظّواهر الكبيرة التي تحكم مجموعة كبيرة من اللغات البشرية، فمارتيني بهذه الفكرة سمح لنا بلسانيات أكثر خصوصية وذلك كتمهيد ومنفذ للسانيات العامة، لأنّ النّظرية اللسانية العامة فيما بعد ستكون نابعة من الواقع الاجتماعي للغة وآتية من صلب

---

1 أندري مارتيني، "مقابلة مع مفكّر، لقاء مع عالم اللسانية أندريه مارتينيه"، أجراه: نادر سرّاج، مجلة الفكر العربي، لبنان، 1987، ص 375.

2 المرجع نفسه، ص 370.

الاستعمال اللغوي الحي، عكس النّظريات اللّسانية الأخرى التي تتوجّه للتّعميم وبالتّالي ستبتعد عن الواقعية.

ج) وظيفة اللغة

يرى مارتيني أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التّواصل،" فالوظيفة الأساسية لهذه الأداة هي التّبليغ، فالعربية مثلا هي قبل كلّ شيء الوسيلة التي تمكّن أهل اللّسان العربي من أن تكون لهم علاقات فيما بينهم، سنرى أنّ أي لسان يتغيّر بمرور الزّمن. وهذا الأمر يحصل أساسا استجابة لحاجيات التّبليغ في المجتمع الذي يستعمل اللّسان، ويتم ذلك بالوجه الاقتصادي الأمثل. إنّنا لنحترز من أن ننسى أنّ اللغة تستعمل لوظائف أخرى غير تلك التي يتم بها التّفاهم بين متكلّميها. فاللغة تستعمل في المقام الأوّل –تقريبا– كعماد للفكر إلى الحد الذي فيه نتساءل عن جدوى أي عمل ذهني يعزوه الإطار اللساني؛ والواقع إنّ عالم النّفس هو الحري بالإجابة عن هذا السّؤال وليس عالم اللّسان. ومن جهة أخرى فالإنسان غالبا ما يستعمل اللّسان للتّعبير، أي أنّه يحلل ما يختلج صدره دون أن يكترث بوجود مستمعين...أيضا يمكننا أن نتحدّث عن وظيفة جمالية للغة يكون من الصعب تحليلها لما لها من تداخل مع وظيفتي التبليغ والتّعبير"[1]؛ فالبشر منذ أن وُجدوا على البسيطة كانت لهم ضرورة التّواصل والتّعبير بفعالية، ثمّ صارت وظيفة التّواصل هي الأساس في اللغة، ثمّ ظهرت وظائف أخرى للغة، إلاّ أنّ وظيفة التواصل دائما ما تكون حاضرة ومؤكّدة مع الوظائف الأخرى، فمارتيني وظيفي مثله مثل مدرسة براغ ولكنّه أضاف أشياء أخرى وطوّر الوجه الوظيفي، فالنّظام اللغوي تعتريه تغييرات، وهذه التّغييرات محكومة بظروف التّواصل، فكلّ الكائنات في هذا الوجود تتواصل، ويبقى النظام التّواصلي البشري هو الأفضل، وذلك لوجود خاصية الاقتصاد والتكيّف.

د) التّقطيع المزدوج للغة

من المفاهيم التي عالجها مارتيني فكرة "التّقطيع المزدوج" Double articulation، فـ:" التقطيع الأول هو الطريقة التي بها ترتب التجربة المشتركة لدى كلّ أعضاء مجموعة لسانية معينة. وإنّه لا يمكننا أن نقوم بعملية التّبليغ إلاّ في إطار هذه التجربة والتي تكون موقوفة بالضرورة على ما هو

---

1 أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة، دار الآفاق، ص: 14، 15.

مشترك بين عدد هائل من الأشخاص، إنّ أصالة الفكرة لا يمكنها أن تظهر إلاّ في تناسق غير منتظر للوحدات، إنّ التجربة الفردية التي لا يمكن تبليغها كوحدة، تحلل إلى متوالية من الوحدات، كلّ وحدة فيها ضعيفة خصوصيتها معروفة من لدن كلّ أعضاء المجموعة وإننا لا ننحو نحو الخصوصية إلاّ بتنسيق وحدات جديدة، كأن نضيف صفات إلى اسم وأن نضيف إلى الصفة ظرفا أو بصفة عامّة نضيف تخصصات إلى مخصص في هذا الإطار يمكن أن يمارس إبداع الذي يتكلّم"[1]، أمّا التقطيع الثاني، مثلا:" مجموعة (راس)...الصورة الصوتية قابلة للتحليل إلى متوالية من الوحدات تساهم كلّ واحدة منها في تمييز (راس) مثلا عن وحدات أخرى كـ: (فاس، وساس، وباس، وروس)، وهذا ما نسمّيه بالتّقطيع الثاني للغة، فمثل: ساس (القادح في السّن) عدد وحداته ثلاثة، يمكننا أن نشخّصها بواسطة الأحرف: س ا س نصغها كما هو مصطلح عليه بين خطّين مائلين، كذا: سا/س، وهكذا نلاحظ ما يمثّله التقطيع المزدوج من اقتصاد"[2]؛ فمارتيني تحدّث عن التّقطيع المزدوج ومارسه على اللغة والذي ينطبق على عدد كبير من اللغات، وذلك لفهم طبيعة النّظام اللغوي، ففي البداية الأساس يكون هو الجملة المنبنية على تنسيق منطقي للوحدات، تجزئة هذه الجملة إلى وحدات أصغر وحدة دالة يصل إليها التّقطيع يسمّى التقطيع الأوّل، ثمّ هذه الوحدات يمكن تجزئتها إلى وحدات أصغر وهي أصغر وحدات غير دالة أي الأصوات، بحيث يكون عدد الأصوات محدودا في كلّ اللغات، نستطيع من وحدات صوتية قليلة تشكيل ما لا حصر له من الجمل.

يقول مارتيني عن التقطيع المزدوج:"...إنّ اللغة الإنسانية تتميز عن النتاجات الصوتية للحيوان بأنّها ملفوظة أو منطوقة، فاللغة الإنسانية هي مزدوجة التلفظ، أي ملفوظة على مستويين اثنين. يظهر لنا المستوى الأول في الأقوال التي تلفظ بواسطة كلمات. وهو يطلق على هذا المفهوم تسمية التلفظ المزدوج. وهو ينص على أنّ كلاً من الوحدات الكلامية الحاصلة وفق تلفظ أول هي ملفوظة بدورها بواسطة وحدات من نوع آخر، في التلفظ الأول (صرخات)، تحلل كل خبرة كلامية أو كل حاجة يرغب الإنسان في إيصالها إلى الآخرين عبر تتابع وحدات كلامية تحتوي كل منها على صورة صوتية وعلى دلالة معنوية. أمّا التلفظ الثاني فهو يتمثل في إمكانية تحليل الصورة الصوتية إلى

---

1 المرجع السابق، ص: 18، 19.

2 المرجع نفسه، ص 19.

وحدات صوتية مميزة تحتوي على شكل صوتي، إنّما لا تحمل بذاتها أية دلالة"[1]؛ فالإنسان مزوّد بجهاز التّصويت، يقوم المتكلّم بإنشاء التراكيب، وهي أعلى مستوى يصل إليها اللساني في التّحليل، وخاصية إنشاء التركيب المتضمّن مرحلتين لا يختص بها إلاّ بني البشر باستخدام العقل والعمليات السيكولوجية. ففي التّقطيع الأوّل نحصل على الوحدات الصرفية أو المونيمات وهي أصغر وحدة مباشرة بعد الجملة وتحمل دلالة، ثمّ في المرحلة الثانية تلك الوحدات الصرفية الدالة أو المونيمات تقطّع لتقطيع ثانٍ هو الوحدات الصوتية، وهي أصغر وحدة غير دالة، ولكن كل وحدة صوتية لها سمات تطبعها تميز الوحدات الصوتية بعضها عن بعض، وتتميز الوحدات الصّوتية بقلّتها ومحدوديتها، لكلّ لغة وحداتها الصّوتية التي تتمايز حسب موقعها في جهاز التّصويت.

هـ) اللغة الإنسانية/ اللسان

ميّز مارتيني بين اللغة الإنسانية و اللسان:" يميّز مارتينيه في حديثه ما بين مصطلحي (Langue humain) وهو ما سنترجمه بـ (اللغة الإنسانية) وبين (Langue) وهو ما سنعتمد مصطلح اللسان لترجمته. المصطلح الأوّل وهو الأكثر عمومية في قاموسه اللغوي، يحدد بواسطته اللغة بمفهومها المطلق، بمفهومها الإنساني العام بالمقابل مع المصطلح الثاني (اللسان) الذي يعني به اللغة بمفهومها الخاص. من هنا التّمييز ما بين اللغة الإنسانية وسائر الألسن المعروفة كاللّسان العربي واللّسان الفرنسي إلخ...استطرادا للملاحظة السّابقة: تتجسّد اللغة الإنسانية في الحقيقة عبر ألسن متعددة ومتمايزة هي الألسن المستخدمة للتّواصل في إطار مختلف المجتمعات اللغوية المعروفة. تعتبر الألسنية الوظيفية أنّ للغة الإنسانية وظيفة أساسية تؤدّيها في المجتمعات البشرية. وتتمثّل الوظيفة بالتّواصل أو التفاهم المتبادل في إطار المجتمع اللغوي الذي ينتمي إليه النّاطقون بها"[2]؛ فاللسان هو المنطلق لدراسة اللغة الإنسانية، فالألسن متعددة ومتنوعة فيها ما هو واسع الانتشار ومنها ما هو في حدود جغرافية ضيقة، ومنها ما هو بائد وكان في عهد الأمم السّابقة، واللساني يدرس ويفهم العديد من الظّواهر الخاصّة بكل لسان، ثمّ يقوم بإيجاد الخصائص المشتركة

---

1 أندريه مارتينيه، وظيفة الألسن وديناميتها، تر: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2009، ص: 379، 380.

2 أندري مارتيني، "مقابلة مع مفكّر، لقاء مع عالم اللسانية أندريه مارتينيه"، ص 375.

وواسعة الانتشار بين الألسن لاستخراج نظرية عامة لسانية أو استخراج مفهوم عام لنظرية اللغة الإنسانية.

و) النبر والتنغيم عند مارتيني

من المفاهيم التي أثراها مارتيني مفهومي النبر والتنغيم،" نميّز من وجهة نظر وظيفية بين النّغمية، والنّغمات، والنّبر والتنغيم، تصنّف هذه العناصر الثلاثة من وجهة نظر لسانية من الأشد مركزية إلى الأكثر هامشية، تلعب النّغمات دورا قطعيا في إثبات هوية الوحدات البليغة، وتشكّل بشكل علمي صفات لألسن عديدة، في حين أنّ التنغيم يتطلّب بالإضافة إلى ذلك المشاعر التي يبديها المتكلّم بخصوص ما يبلّغه...إنّ الطبيعة الفيزيائية السوية للنغمات هي تناغمية، فالنّغم بصورة عامة، هو سمة مختصّة بالمنحى التناغمي الذي يشكّل محصّلة ضرورية لتذبذبات المزمار...يُقال عن النّغمات إنّها تناغمية حينما تكون سمتها الملائمة في الاتجاه العائد لجزء من المنحى التناغمي صاعد، هابط، أو موحّد"[1]؛ أمّا النّبر:"...يُمكننا أن نبرز ميزات مقطع ما بتلفظنا إيّاه على درجة كبيرة من الشدّة والدقّة، وبنوعية تصويت أشدّ ارتفاعا، أو بزيادة مدّته. وعندما نكتب في الإنجليزية، فالنّبر يسمّى عموما (Stress) الأمر الذي يعكس وجهة النّظر العادية القائلة إنّ إبراز ميزات المقطع في هذا اللّسان، يؤمّن عادة عن طريق توتّر كبير جدًّا لأعضاء النّطق. لكنّ أبحاثا مستجدّة أشارت إلى أنّ لارتفاع الصّوت أيضا دورا في هذا المجال"[2]؛ فلم تهمل وظيفية مارتيني الأصوات المصاحبة للجمل، فالصّوت لمّا يتركّز في جزء أو مقطع الجملة أو عبر كامل الجملة فهو يحمل معنى ووظيفة تواصلية، وهذه الظّواهر لا تظهر إلاّ في الخطاب المنطوق، فقد يلجأ المتكلّم إلى الاتّكاء على النّغم والنّبر الصّوتي لتضمين دلالات قد لا تحملها ولا يكفيها التركيب بمكوناته، ويتميّز النّبر والتّنغيم بالسّماع والتّمييز وبالقياس عن طريق رسم منحنيات بيانية لأجهزة قياس الصوت.

ز) أقسام اللفاظم

---

1 أندريه مارتينيه، وظيفة الألسن وديناميتها، ص: 274، 275.

2 المرجع نفسه، ص: 277، 278.

يقسم مارتيني اللفاظم إلى أقسام وهي كالتالي:[1]

– اللفاظم الحرة مثل: Hier في Hier, il y a fête au village وهي التي تتضمن في بنيتها دليل وظيفتها.

– اللفاظم الوظيفية (مثل: a) وهي تستعمل لتعيين وظيفية لفظم آخر.

– اللفاظم المرتبطة، إذ هي ترتبط لتحديد علاقتها ببقية التركيب بلفظم وظيفي أو بمرتبتها بالنسبة للعناصر الأخرى في ذلك التركيب...وفي الجملة المذكورة سابقا تؤلّف كلمة Village لفظما مرتبطا، والتركيب Au village يعتبر تركيبا حرًّا.

– وبقي في هذا المثال التركيب Il y a avait fête وهو ليس فقط حرًّا، بل أيضا مرتبطا، ويكفي ليركّب ملفوظا تامًّا فهو المسمّى –بالتركيب الإسنادي–، فحول هذا المفهوم للمسند وهو قديم تدور النظرية التركيبية عند مارتيني، فلا ربط هنا مع علم وظائف الأصوات الذي ينعدم فيه ما يشبه المسند، فالمقصد هو إقامة نظرية في الأبنية التركيبية البسيطة، ونلاحظ أنّ مارتيني لم يعتمد اعتمادا الشكل المتمثل في المسند إليه والمسند، وهو يعود إلى اعتبارات منطقية فلسفية ينتقدها لما يشوبها من ما قبلية... .

فكل جزء من التركيب يحمل وظيفة معينة، يلتزم كل عنصر بخصائص وظيفية تختص به، وبالتالي هذه الخصائص تمنحه الرتبة المحددة في الجملة، إنّ مارتيني حاول إعطاء كل لفظم حدوده التي تختص به، فهو بهذا يحلل التركيب، ويجنّب الدراسة اللسانية الخلفيات والأفكار التي كانت سائدة والتي لا تمت للعلمية بصلة، فقد أفاد من أفكار سوسير وزملائه الوظيفيين من حلقة براغ، حيث ركّزت وظيفية براغ على الجانب الصوتي، وزاد مارتيني الدراسة النحوية بخطوات جريئة مبتكرة، وقد أفادت تصنيفاته وتوصيفه لأجزاء الجملة انفتاحا على النّظم النحوية القديمة المصاحبة لكلّ اللغات، كاللغة العربية على سبيل المثال.

ح) النحو الوظيفي

---

1 كاترين فوك، بيارلي غوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 49.

أنشأ مارتيني النحو الوظيفي، فهو:"...عندما شرع في بناء نحو وظيفي، فقد أدخل فيه مبادئ للتحليل ليس لها ما يقابلها في علم وظائف الأصوات، فلقد رأى مثلا أن لكل عبارة تستخدم من أجل وظيفة إيصالية، تجربة (سواء كان ذلك في تحليلها أم في وضع ترسيمه لها). فهذه العبارة تتكون بعد ذلك من مسند (دال على العلمية التي يعدها المتكلّم مركزية في هذه التجربة) مصحوب على وجه الاحتمال بسلسلة من التكملات الإسنادية (من بينها المسند إليه). وذلك لأنّ لكل نموذج من النماذج وظيفة حمل نموذج خاص من المعلومات يتعلق بالعملية. ولمّا كان الأمر كذلك فإنّ هذه الوظائف لا يمكنها عموما أن تنشأ بواسطة التبادل. ومثلنا على ذلك، هو أنّ معظم التّعبيرات التي يمكنها أن تضطلع بدور ظرف الزمان لا تستطيع أن تضطلع بدور ظرف المكان: لا معنى إذن أن نتساءل فيما إذا كانت هاتان الوظيفتان تتبادلان أوّلا (وكذلك الأمر بالنسبة إلى وظيفة المسند إليه ووظيفة المسند للذين في الفرنسية على الأقل، نادرا يحتلان الوحدة البنيوية الصغرى نفسها)، وهكذا، فإن الاتجاه الوظيفي لا يسمح أبدا في القواعد بالعثور ثانية على مسلمة سوسير التي تقول: (في اللغة، لا يوجد إلاّ الاختلاف)"[1]؛ فلقد طوّر مارتيني النحو الوظيفي وبيّن حدوده عن طريق التّركيز على المسند والمسند إليه العمدة في تشكيل الجمل، إنّ النحو ذو وظيفة تواصلية، تتوزّع هذه الأخيرة على المقاطع الجملية، فكلّ مقطع يساهم في حمل جزء من المعنى وبالتالي جزءً من التّواصل، فقد كان الوظيفيون يعطون تسميات لكل عنصر نحوي ووتتنوع هذه الوظائف بتنوع العناصر النحوية، ولقد وجدت طريقة التحليل هذه نفسها في اللغة العربية عن طريق أحمد المتوكّل الذي أنشأ نحوا وظيفيا خاصا باللغة العربية، وذلك بالاستفادة من النحو الوظيفي العام الذي استنبطه مارتيني انطلاقا من اللغة الفرنسية.

انطلق مارتيني في إنشاء النحو الوظيفي من مفهومين مركزيين هما المسند والمسند إليه، ففي الوقت نفسه يحاول مارتيني"...أن يكون عادلا مع هذا النوع من السمو المعترف به للمسند إليه منذ وقت طويل. وقد كان هذا من غير لجوء إلى تحليل الحكم الذي يجعلنا نخرج من ميدان اللسانيات، فالحل أعطته نظرية الاتساع. وكل كلمة تعدّ اتّساعا في العبارة إذا كنّا نستطيع أن نعزلها عنها من غير أن تكفّ العبارة عن أن تكون عبارة، ومن غير أن تتغير العلاقات المتبادلة للكلمات الباقية.

---

1 أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ص: 52، 53.

وتسمّى العبارة الباقية، بعد اجتثاث كل التوسّعات (العبارة الأقل) أو (النواة)، بيد أنّ النواة في بعض اللغات (في الفرنسية وليس في الباسك) لها كلمتان على الدوام واحدة وهي المسند، وإنّها لتعد مركز كل علاقات الجملة. وأمّا الأخرى، فإنّ مارتينيه يسمّيها المسند إليه، فأن نقول إن اللغة تتضمن وظيفة المسند إليه، فهذا يعني أن نقول إذن إنّه يوجد في هذه اللغة مفعول (إجباري)، وهكذا، فإن هذه السمة الإجبارية تسمح لمارتينيه بعزل المسند إليه بمعارضته مع المفاعيل الأخرى، وإن هذا ليكون من غير لجوء إلى (المعايير) المنطقية الموجودة في التقاليد القاعدية"[1]؛ ففي كل اللغات توجد نواة وهي المسند، ويوجد مسند إليه ثانوي أو فضلة، وكل ما زاد عن المسند يعتبر اتساعا في التواصل والوظيفة، فهناك مفعول في كل لغة يجعل من الجملة كيانا قائما بذاته، وكل العناصر النحوية مشدودة إلى هذا الفاعل، وهذا الفاعل الإجباري نابع من منطق اللغة ونظامها السيكولوجي، إنّ اللغة بناء من أصل وفرع، من مسند ومسند إليه، وهذه العملية التحليلية وجدت في النحو التقليدي، غير أن مارتيني لم يجعل النحو الوظيفي معيارا يجب الاحتكام إليه، بل يجمع المدونة ويدرسها كما هي دراسة وصفية، ويمكن الإفادة من آراء النحو التقليدي في النحو الوظيفي لإعطاء التسمية لبعض العناصر النحوية.

فالنحو الوظيفي مبني انطلاقا من وظيفية المسند والمسند إليه،" فيمكن أن نميّز النواة الضرورية في التركيب، وهو مؤلّف من خبر (مسند) ومجموعة من العناصر تحققه، ومنها حالة الفاعل (المسند إليه)، والبقية هي توسّع؛ ونحدّ به كل ما يقابل المفاعيل التقليدية المختلفة، وضمنها يسعى التحليل الوظيفي إلى تشييد نظام متناسق، فمارتيني وهو يبرز أن (الوظائف ليست متماثلة بين اللغات)، يقيم مقدّمة لمختلف أنواع التقسيمات للوظائف وهي:

– قسم للوظائف الأولى مقابلة بالوظائف غير الأولى، حسب العلاقة التي توفرها بين تركيب غير إسنادي والنواة الإسنادية...أو بين تراكيب غير إسنادية.

– وفي ضوء الشّكل في التّدليل للوظائف، ندرك المبادئ التي تبلغ تقسيم اللفاظم.

– وبمقتضى ظروف ظهور الوظائف وهو ما يؤدّي بالخصوص إلى وضع خاصيتها الضرورية أوغير الضرورية، وحدود استعمالاتها في مثال بعض الأنواع من الأخبار (المسانيد).

---

1 المرجع السابق، ص 412.

- وحسب درجة التّشارك في الحدث، لكن مارتيني يقول: (إنّه لمن العسير أن نحصل على مقاييس يقينية في هذا النّطاق).

ويضيف فيما بعد أنّه في هذا الاجتهاد في التقسيم يرمي: (إلى التّدليل المجرد على الطرق التي يمكن على ضوئها التنظيم النسبي في خضم تراكم الوظائف التي تعترض سبيل من يبحث عن إبراز صفات للبنية التركيبية)، فالتركيبية الوظيفية ليست نظاما متكافئا"[1]؛ فكل لغة لها نظامها الإسنادي والتركيبي، فاللغات غير متماثلة، وقد استخرج مارتيني وصفه الإسنادي والتركيبي من استقراء اللغة الفرنسية والاستفادة من مدلولاتها النحوية، ولكن لا يمكن تعميم ذلك على كلّ اللغات، وقد أنشأ على سبيل المثال أحمد المتوكّل نحوا وظيفيا خاصا باللغة العربية. إنّ هناك فواعل داخل النظم التّركيبية في كلّ لغة، تمنح هذه اللغة ديناميكيتها وقدرتها على تحقيق التّواصل، إنّ التّراكيب تتضام وتتألّف من قوّة إسنادية موجودة منجزة بالعقل البشري، لأنّ للغات منطقها ونظامها، حاول مارتيني إعطاء التّوصيف اللازم ووصف مواقع العناصر داخل التركيب الإسنادي لإنشاء نحو وظيفي يؤدّي فيه كل مقطع دوره المنوط به الذي منحته له اللغة.

المبحث الرابع: مدرسة لويس يلمسليف الرياضية Louis Hjelmslev 1899م-1965م)

أ) تأثّر أبحاث يلمسليف بالمنطق والرياضيات

استفاد يلمسليف ومن معه بدرجة كبيرة من الفلسفة والمنطق والرياضيات، ولهذا كانت أبحاثهم أكثر دقة وصرامة ومنهجية،" ولا غرو في ذلك، فقد كان قطبا حلقة كوبنهاغن بروندال وهلمسليف على معرفة دقيقة بالدراسات المنطقية والمباحث الفلسفية. وإنّ نظرة سريعة على أعمال هلمسليف تبيّن بوضوح حرص الرجل على اقتفاء أثر علماء المنطق والرياضيات من حيث صرامة اللغة ودقّة المصطلح والاستعانة بالرّموز الرياضية (هل ورث هذا من أبيه أستاذ الرياضيات الجامعي وعميد جامعة كوبنهاغن؟). كان هلمسليف متأثّرا بالدّراسات المنطقية الحديثة، ومتشبّعا بمنطق حلقة فيينا عامة Vienne de le cercle (زوما يعرف بالوضعية المنطقية)، ومنطق كارناب Carnap خاصّة. وقد أشار هلمسليف عدّة مرّات إلى أعمال كبار علماء المنطق في النصف الأول من القرن

---

1 كاترين فوك، بيارلي غوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ص: 49، 50.

العشرين، لاسيما كارناب الذي تتطابق الأعمال التي يقوم بها في المنطق وما يقوم به هلمسليف في اللسانيات. يقول هذا الأخير: إنّ تعريف كارناب للبنية Structure يتطابق كليا مع وجهات النّظر التي دافعت عنها، أي إنّها حدث صوري وعلاقي خالص"[1]، ولهذا كانت أبحاث يلمسليف لا تتقبل أي عنصر أو ملمح خارج لغوي في النظرية اللسانية، وذلك لأنّ منطقه يرفض الخلط بين الاستقراءات والاستنباطات التي تكشفها الرؤية المنطقية الرياضية الفاحصة، ولهذا أكثر عنده التقسيمات والاصطلاحات الجديدة التي لم تكن معهودة، بسبب ما يتولّد من التّحليل المنطقي، فقد عرفت آراء يلمسليف عزوفا من الأوساط البحثية لأنه لم يجد من يفهم عنه بيسر، لأن المنطق والرياضيات تتطلب باحثين موسوعيين لا يستوعبها من يكتفِ بالدراسات الاجتماعية والنفسية. فقد كان منهج يلمسليف مسلّحا بخلفيات منطقية وفلسفية ورياضية ممزوجة مع آراء سوسير في تصوّره للدرس اللساني الذي استشرفه، ولمّا نقرأ لآراء يلمسليف سنجد أننا أمام لساني جاء بأفكار لم يسبق لها أحد قبله بسبب الاستنتاجات العميقة التي حاول أن يدخلها إلى البحث اللساني.

يقول "أحمد مومن" عن مدرسة يلمسليف:" يمكن أن نقول بإنصاف: إنّ النظرية الغلوسيماتية قد جمعت بين مبادئ النّحو التقليدي ومظاهر النّظرية اللسانية الحديثة. وبين مسلّمات المنطق الصوري والأسس المعرفية العامة. وعلاوة على هذا، فقد تميّزت عن باقي النظريات الأخرى باستخدام الجبر والرياضيات بصورة فيها نوع من المبالغة. وهي اليوم عبارة عن فرضيات ومبادئ تستدعي المزيد من الاهتمام والتطبيق. وعلى الرغم من جوانب الضعف التي علقت بها، فإنّها لا تزال تتمتع بمكانة عالية، وتحظى بتقدير الباحثين، وما ظهور اللسانيات الرياضية...في هذه الفترة الأخيرة إلاّ دليل واضح على مكانة الرياضيات في الدراسات اللسانية الحديثة. أجل، لقد كان يلمسليف اللساني الأول الذي اعتنى اعتناءً كبيرا بإحداث ثورة على الأساليب الأدبية القديمة التي اعتاد النحويون على استعمالها في تقنين قواعد اللغة، وحاول عصرنة الدراسات اللغوية باستخدام مناهج علمية رياضية، وحسبه هذه الالتفاتة الذكية...التي أصبحت نبراسا يقتدي به الباحثون في مختلف الفروع اللسانية"[2]؛ فقد فرضت مدرسة كوبنهاغن اللسانية الرياضية نفسها بين المدارس اللسانية، وتميّزت بالجرأة والتميز

1 مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، ص: 257، 258.

2 أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2005، ص: 168، 169.

في الطرح، وكانت تمتاز بمصطلحات جديدة خاصة بها، وتمّ تقريب الرياضيات والمنطق من الحقل اللغوي، وهو ما أتاح لهذه النظرية لأن تقترب من التفسير التكنولوجي لأن اللغة منفذها للتكنولوجيا هو الرياضيات، فقد كانت هذه المدرسة بنيوية بعد استبعادها العناصر غير البنيوية، وقد تشدّدت في بعض العناصر التي كان يعتقد في بنيويتها، كما أن ما يميزها هو استثمارها بكل ما يحيط بها من معطيات، من نحو تقليدي، فلسفة كارناب، منطق، آراء سوسير، والمدرسة الوظيفية، حيث لم تتوانَ في الجمع بين مختلف الأقطاب لإخراج درس لساني جديد كان يرى يلمسليف ومن معه الأحقية بالاهتمام.

ب) تصوّر يلمسليف للغة

أفاد لويس هلمسليف من أفكار سوسير، ولكنّه أضاف عليها وطوّرها وابتكر،" إنّ نظرية اللسانيات الرياضية نظريّةٌ قام بإنشائها اللساني الدانمركي (ل.هيلمسليف)، وإنّها لتقدّم نفسها بوصفها توضيحًا للحدس العميق عند سوسير. ولقد جعلها هذا الإخلاص الأساسي تتخلّى، من جهة، عن بعض أطروحات سوسير لأنّها سطحية، كما جعلها، من جهة أخرى، تتخلّى عن التّأويل الوظيفي، وأيضا عن وظيفية الأصوات القائمتين في مذهب سوسير، والذي سيعدّ مذهبا تحريفيا. سيأخذ هيلمسليف من (الرّوس) أمرين أكيدين قبل كلّ شيء:

1- اللغة ليست جوهرًا، ولكنّها شكل.

2- تختلف كلّ لغة عن أخرى ليس على مستوى التّعبير فقط، ولكنّ على مستوى المضمون أيضا.

ولكن توحّدت هاتان الأطروحتان بالنسبة إلى سوسير في نظرية العلاقة، فإذا كان يجب على اللغة أن تتميّز في الوقت نفسه على مستوى التّعبير (أي بوساطة الأصوات التي تختارها لكي تنقل المعنى)، وعلى مستوى المضمون (أي عن طريق الهيئة التي تمثّل المعنى)، فإنّما ذلك يكون لأنّها مجموعة العلامات، والذّوات التي لها وجهان، وتمتلك هيئة مزدوجة: صوتية ودلالية. فإذا كانت العلامات في لغة ما تختلف فيما يتعلق بالصوت، عن اللغات الأخرى، فإنّ هذا يبرر وصف كلّ واحدة على مستوى التّعبير، وذلك كما كان الأمر معمولا به منذ زمن طويل، ولكنّ علامات اللغة هي علامات

أصلية أيضا"[1]؛ فهلمسليف دارسٌ شكليٌّ بنيوي، ولكنّه يتفق مع سوسير في أشياء، ويخالفه في أشياء، فلقد أضاف تقسيمات جديدة، نتيجة تصوّره لعناصر إضافية في المضمون أو الدّلالة. فليست الأفكار أو الدلالات لها نفس النّسق في كلّ اللغات، بل الاختلاف في الدّال والمدلول على حدّ سواء، وهو بهذا يعطينا طريقة لسانية جديدة في التصوّر وكيفية الدّراسة.

ج) تقسيم يلمسليف للعلامة

استطاع يلمسليف أن يحدث تقسيمات جديدة غير موجودة في عالم الحس، ومضيفا عناصر إلى تقسيمات سوسير،" فإذا كان هيلمسليف يستحسن المقصد الذي يقود التّعارض عند سوسير، فمن المؤكّد أنّ الوحدات اللسانية تُدخل انقساما أصليا في عالم الصوت والمعنى. ولكن لكي تستطيع أن تضع هذا، يجب أن تكون شيئا آخر غير هذا الانقسام، وشيئا آخر غير هذه المناطق من المعنى ومن الجهورية التي تجد نفسها تتولاّها. ولكي تستطيع أن تسقط نفسها في الواقع، يجب أن توجد مستقلة عن هذا الواقع، ولكن كيف سيعمل اللساني على تحديدها إذا كان سيغض الطّرف عن تحققها عقلا وحسًّا؟ إنّه بالتّأكيد لن يلجأ إلى مبدأ التّعارض (فهذا لجوء نسمّيه المتصوّر رقم 1 لسوسير)، والسبب لأنّ هذا المبدأ يفضي في نهاية المطاف إلى تمييز الوحدة بشكل إيجابي. وإنّه ليشترط فقط أن نعيدها إلى هذا الذي نختلف به عن الوحدات الأخرى. يكمن الحل عند هيلميسليف في تطوير متصور آخر من متصورات سوسير (المتصور رقم 2) تطويرا يذهب إلى الحدود القصوى ، وتبعا لهذا المتصوّر، فإن الوحدة السلبية المحضة والتعالقية لا تستطيع أن تتحدد بذاتها، الشيء المهم الوحيد هو أن تكون مختلفة عن الوحدات الأخرى ولكن فقط بالعلاقات التي تربطها بوحدات اللغة الأخرى"[2]؛ فيلمسليف يدعونا إلى أن نكون أبعد عن المحسوسات لكي نفهم تقسيماته، وهو العمل بمبدأ أن نكون أكثر تجريدا، فهو يرى أن تقسيمات سوسير العلامة إلى دال ومدلول غير كافية، لأن الدّال (الصورة الصوتية) ينقسم إلى عناصر أخرى، وكذلك المدلول بدوره ينقسم إلى عناصر أخرى، فيلمسليف ابتكر طرق جديدة لتفسير العلامة اللغوية، لأنه يراها أبعد وأعمق مما جاء به سوسير، إنّه

---

1 أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص 43.

2 المرجع نفسه، ص: 44، 45.

يحدد التقسيمات الجديدة انطلاقا لفهمها من التقسيمات التي كانت موجودة، ما يعني التريث والصبر للإحاطة بالعناصر التقسيمية الجديدة لأنها أكثر رياضية ورمزا.

يستحدث يلمسليف طريقة خاصة في تقسيم العلامة، تتفق مع تقسيم سوسير للعلامة إلى دال ومدلول، ولكن يضيف عناصر جديدة، فهو يقترح:"...استبدال الدال بصعيد واستبدال المدلول بصعيد المضمون، وهما أيضا تربطهما علاقة تضامن، يسمّيها (الدالة السيميائية)، فنعبّر عن ذلك بالآتي:

صعيد التعبير ع صعيد المضمون ≈ (علامة)

نقصد باستعمال الرمز ≈ أن العلاقة بين الصعيدين ليست مجرد إلحاق يمكن أن نرمز له برمز الجمع، بل هي دالة ذات صياغة صورية خاصة، تكون العلاقة فيها صيغة من الصيغ المجردة للدّوال الممكن وجودها في اللغة. كما أن العلاقة بين الصعيدين ليست مساوية تماما للعلامة، بل هي تساويها بتحفظ. وذلك للسبب التالي: يقوم هيلمسلاف بتقسيم صعيد التعبير إلى شكل التعبير وخامة التعبير، ويقوم بتقسيم صعيد المضمون إلى شكل المضمون، وخامة المضمون، وهو ما نقترح التعبير عنه كالتالي: تعبير (شكل+خامة) ع مضمون (شكل+خامة) ≈ (علامة) . يتمسك هيلمسلاف بالأطروحة السوسيرية ويرى أن هذا التحليل للعلامة، في الطبعة المعدلة، يساعد على تحديد موضوع نظرية اللغة بدقة أكبر، ويرى أن نظرية اللغة لا تدرس الخامات، فالخامات هي من اختصاص علوم أخرى، بينما تختص نظرية اللغة بدراسة الشكل في كل من الصعيدين، ونعبر هنا عن ذلك بالصيغة التالية، وهي الأدق تعبيرا عن تصور هيلمسلاف للعلامة كموضوع لنظرية اللغة:

شكل التعبير (ع) شكل المضمون = موضوع نظرية اللغة"[1]؛ فهلمسليف كان أكثر عمقا في دراسة تشكيل العلامة، فقد استفاد من سوسير، ولم يوافقه تماما، وإنما كان دارسا شكليا مثله، يرى في تكوين العلامة عناصر أخرى غير لغوية وليست من اختصاص نظرية اللغة، فهو بهذا يدعونا إلى ضرورة المعرفة الفعلية لطبيعة العلامة وذلك بإضافة تقسيمات صورية مجردة جديدة تتيح عمقا أكثر للتحليل العلاماتي.

---

1 جمال بلعربي، "وصف الألسنة وبنية العلامة عند هيلمسلاف، شكل التعبير وشكل المضمون"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 08، العدد 01، جامعة تمنراست، 2019م، ص: 312، 313.

يمكن أن نقدّم شرح بسيط للمصطلحات التي جاء بها يلمسليف عند شرحه لأقسام العلامة، فـ:" صعيد التعبير: سلسلة صوتية تتكون من وحدات صوتية (فونيمات، جزيئات تتكون منها الفونيمات) منتظمة حسب عدد من العلاقات المجردة والثابتة داخل اللسان والتي يسميها هيلمسلاف بالدوال، وتلك السلسلة هي: أصوات لها مخارج محددة ونطق محدد وترتيب محدد"[1]، ثم هناك صعيد المضمون:" استبدالية Paradigmatic تتكون من وحدات لغوية يسميها الغلوسيمات أو الجزيئات وهي أصغر من العلامات، ليكسيمات تحكمها هي الأخرى مجموعة من العلاقات الخاصة لها داخل اللسان. هي ضمير المتكلم النفي، فعل المعرفة في حالة صرفية معينة"[2]. فـ:" عند هذا الحد من التحليل لا يختلف الأمر كثيرا عمّا يسمّيه دي سوسير بالصورة الصوتية والصورة الذهنية اللتين تكونان العلامة واللتين يستعيض عنهما بعد ذلك بمصطلحي الدال والمدلول"[3]، ثم يبدأ يلمسليف بالتعمق أكثر، فنجد خامة التعبير:" المادة الصوتية (عندما يتعلق الأمر بالكلام المنطوق) الموجودة في الطبيعة، أي في القدرات الهائلة التي يتمتع بها جهاز النطق والتي تسمح بإنتاج تنوعات صوتية لا حصر لها، والتي ليس لها شكل محدد ويستخدمها كل لسان ليصنع منها تقطيعا خاصا به في شكل نسق صوتي يصمم به صعيد التعبير "[4]، ثمّ شكل التّعبير:" تقطيع يضعه اللسان لتلك المادة الصوتية بحيث يصنع منها نسقه الصوتي الخاص، والمختلف عن كلّ الأنساق الصوتية الأخرى وفق قواعد ثابتة تتحدد بداخل هذا النسق الصوتي مواصفات كل صوت وعلاقاته بالأصوات الأخرى بداخل النسق، يحول هذا التقطيع خامة التعبير التي لا شكل لها إلى سلسلة صوتية نسقية مبنية بإحكام لا تقبل أي تغيّر اعتباطي"[5]. ثم نجد مفهوم خامة المضمون وهي:" المعاني والأفكار التي توجد في العالم قبل أن تتخذ شكلا واضحا، وهي ما نترجمه عندما ننقل الجملة من لسان إلى لسان"[6]، ثم مفهوم شكل المضمون، وهو:" تقطيع يحدثه اللسان لأشياء العالم أثناء تشكّله (أو تشكّلهما معا، بمعنى ما) وهو تقطيع يختلف من لسان إلى آخر ويشمل كلّ الرّصيد المعجمي المكتوب وغير المكتوب الذي

---

1 المرجع السابق، ص 313.

2 المرجع نفسه، ص 313.

3 المرجع نفسه، ص 313.

4 المرجع نفسه، ص: 313، 314.

5 المرجع نفسه، ص 314.

6 المرجع نفسه، ص 314.

يتوفر عليه اللسان، لا يملك هذا التقطيع وجودا خارج اللسان ولا خارج العالم، بل هو يتشكّل أثناء استيعاب اللسان العالم، بحيث لا يمكن القول أيّهما يوجد قبل الآخر، العالم أم اللسان الذي يعبّر عنه، لأن العالم بالنسبة للمتكلّمين بلسان ما لا وجود لتفاصيله إلاّ من خلال لسانهم"[1].

فيلمسليف أكثر عمقا ودراسة من سوسير، فتقسيماته منطقية فلسفية، بحيث يستحدث مساحات جديدة في التحليل بعناصر أخرى توجد خارج اللسان، عناصر حافة تتبادل الأنساق مع اللسان، فعندما يتعلق الأمر بشكل التعبير وشكل المضمون نكون هنا أمام نطاق اللغة ونظريتها، ولكن لمّا يتعلق الأمر بخامة التعبير وخامة المضمون نكون هنا في دراستنا خارج نطاق نظرية اللغة ما يستدعي وجود مجالات وعلوم إضافية لكي تكتمل دراسة العلامة، ففهم ما يصبو إليه يلمسليف يحتاج جهدا فكريا ودقّة وتأمّلا أعمق ليخرج البحث إلى نطاق التحليل الرياضي والمنطقي الدقيق.

د) ضرورة استبعاد ما هو غير لغوي في التحليل اللساني

كانت ترى النظرية الغلوسيماتية ليلمسليف أن العلامة فيها العنصر اللغوي والعنصر غير اللغوي، وكانت ترى ضرورة الاكتفاء بالشق اللغوي في العلامة حتى تكون الدراسة لسانية بحتة، ف:" يمكن النظر لجلوسيماتية (التحليل شبه الرياضي للغة) يلمسليف بوصفها التّأكيد السوسيري على الصيغة في مقابل المادة في مستوى المعنى Content plane (الدلالة والقواعد) ومستوى التّعبير Expression plane (الفنلجيا)، وعلى تعريف الصيغة بوصفها العلاقات المتبادلة للعناصر. والانتقال بالمستويين لنهايتيهما المنطقيتين يعني أنّ تحليل المعنى يجب أن يكون مستقلا عن المعايير الوجودية فوق اللغوية، وأنّ تحليل التعبير (الفنلجيا) يجب أن يكون مستقلا عن المعايير الصوتية (فوق اللغوية المزعومة). والعلاقات بين العناصر، وليس العناصر نفسها، هي موضوع العلم. ويوضع هذا في المقدمة على نحو تام يمكن فقط أن يتحقق هدف دي سوسير في علم لغة مستقل لا يعتمد على علم آخر. وينظر لكل من المستويين باعتباره قابلا للتحليل لمكوناته النهائية، فكلمة (Mare) مثلا تحلل إلى...M,a,r,e على مستوى التعبير وإلى (حصان)، (مؤنث)، (مفرد) على مستوى المعنى. والمستويان ليسا متشاكلين لأنه لا يمكن تحديد علاقة بين الفونيمات المفردة أو الحروف وبين العناصر الصّغرى للمعنى، ولكن المستويين كليهما يجب أن يحللا بطريقة متشابهة، كما أنهما

---

1 المرجع السابق، ص 314.

متساويان ومتكافئان في نظام اللغة"[1]؛ فيلمسليف في تحليله اللغوي يبتكر طريقة جديدة تتوافق مع كان يطمح إليه سوسير، فعلينا إذن استبعاد كل ما هو خارج مجال اللغة والاكتفاء بالشق اللغوي في دراسة العلامات، حتى لا نخرج عن الهدف اللساني، فقد ناقش كنه وطبيعة العلاقة بين التعبير والمحتوى بتحليل مستفيض فيه الكثير من الدقة والصرامة، وقد أثار كل النقاشات بين التعبير والمحتوى، بحيث تطرّق لمختلف وجهات النظر في ذلك. إنّ يلمسليف قد أخذ بالدرس اللساني إلى فضاءات أبعد من التي أخذها إليها اللسانيون الغربيون الآخرون، فراح يفصّل عمّا يحيط بالكلام بعناصر أخرى غير لغوية علينا تأخيرها حتّى يتصف الدّرس اللساني بالعلمية، كان يحترم أفكار سوسير واعتبر جهده تراكم لساني معرفي يحتاج إلى مزيد من التطوير والتفصيل، وقد كان يرى أن الدراسات اللسانية التي سبقته تفتقر إلى الدقّة والعمق، واتسمت تفسيراته بالصعوبة والرمز الرياضي، لذلك عزف العديد من الباحثين لأنهم لم يستوعبوا طرحه المنطقي الرياضي المعمّق.

هـ) يلمسليف وحلقة كوبنهاغن

لم يكن يلمسليف وحده في تصوّره ونظريته، بل كان معه أعضاء حلقة كوبنهاغن، فقد:" عرفت حلقة كوبنهاغن بأولى تصوّراتها اللسانية ابتداءً من 1936 خلال المؤتمر الدّولي للعلوم الصّوتية المنعقد بلندن، الذي قدّم فيه هلمسليف بحث بعنوان Outline of glossématics كشف فيه عن نظرية لسانية جديدة أطلق عليها الغلوسيماتية، تتعلق بدراسة الصّوتات، وحدّد فيه البرامج والأهداف التي وضعتها الحلقة لمعالجة القضايا اللغوية. ومنذ هذا البحث، أصبح مصطلح الغلوسيماتية ملازما لحلقة كوبنهاغن اللسانية بصفة عامة، ولرائدها هلمسليف بصفة خاصة، وتمّ اختيار اسم الغلوسيماتية Glossématique من Glossem (ومعناها لغة في اللاتينية) لتمييز المقاربة اللسانية الجديدة عمّا كان أعضاء الحلقة يسمّونه (اللسانيات التقليدية Linguistique Classique)، وتبيان مدى اختلافها عن اللسانيات السابقة واستقلالها عن مبدأ المادة Substance الخارج–لغوية، ويقصدون بها اللسانيات المقارنة التاريخية التي أوصلت اللسانيات إلى طريق مسدود، وكانت في نظرهم متعالية عن موضوعها الحقيقي، من جهة نظرا لعنايتها بقضايا خارجة عن اللغة نفسها، ومن جهة ثانية لما لاحظوه من استعمال اعتباطي غير دقيق للفظ لسانيات، والغلوسيماتية

---

1 ر.هـ.روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، 1997م، ص 321.

نظرية اختبارية Emprique واستنباطية Déduction في الوقت نفسه، تقابل النحو Grammaire والصّوّاتة"[1] ؛ فقد حاول يلمسليف ومن معه في حلقة كوبنهاغن تخليص الدرس اللغوي من الوهدة والفراغ الذي كان يتخبّط فيه، فلم يكن الطرح منفردا ليلمسليف، بل كان له أتباعه، فقد ركّزوا على العناصر التي هي من صميم البحث اللساني، واستبعاد العناصر التي تأتي من خارج اللغة، وذلك عن طريق الفصل بين ما يكون مع الصوت وينتمي للغة، عمّا هو ملازم للصوت وله علاقة بعلوم أخرى خارج لغوية، فقد امتثلوا لما نادى إليه سوسير وذلك بدراسة اللغة دراسة علمية حسابية متقصية للظواهر العامة، فهي توجه بنيوي يدرس اللغة كنسق ونظام تحكمه مجموعة من العلاقات، وبه ظواهر قارة يمكن كشف قوانينها الطبيعية.

و) مميزات حلقة كوبنهاغن الرياضية

للمدرسة الغلوسيماتية التي رائدها يلمسليف مجموعة من المميزات، نوجزها كما يلي:[2]

1- النزعة المضادة للميتافيزيقا: تنص على أنّ الجمل الميتافيزيقية ليست خاطئة، بل خالية من المعنى، وأنّ تشبيه تركيب هذه الجمل الميتافيزيقية بتركيب الجمل غير الميتافيزيقية ما هو إلاّ أحبولة دلالية Semantic snare.

2- المبدأ التجريبي: كان معنى الجملة يحدد بطريقة تجريبية تحقيقية في بادئ الأمر، وقد أدّى هذا إلى تناقضات عديدة جعلت الوضعيين المنطقيين يتبنون الموقف الضعيف القائل بأن العلم ينبغي أن يشمل كل الوقائع التجريبية الممكنة بوساطة الاستدلال المنطقي انطلاقا من أقل عدد ممكن من المسلّمات.

3- التركيز على الوصف التركيبي: يتناول وصف المضمون أشياء كثيرة غير قابلة للملاحظة أو الإبلاغ بطريقة غير مباشرة، كما هو الشأن بالنسبة إلى إدراك الألوان. وفي هذه الحالة يكون وصف العلاقات بين الظواهر أكثر ملاءمة. وذلك كمقارنة إدراك الألوان عند شخصين مختلفين.

---

1 مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، ص 256.

2 أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص: 164، 165.

4- تحويل اللغة العلمية إلى علم الجبر Algebra: ينبغي أن يقصَ استعمال كل أنواع التراكيب الخاصة بالجمل الميتافيزيقية من الخطاب العلمي، كما ينبغي أن تحدّ العبارات دون غموض أو تناقض.

فبسبب تأثّر يلمسليف ومن معه في مدرسة كوبنهاغن بالمنطق والفلسفة والرياضيات فقد كانت لهم آراء جديدة على الدرس اللساني، فقد أبعدوا العديد من العناصر التي كان اللسانيون في المدارس الأخرى يرونها جزءً من الدراسة، فحسب يلمسليف فإن المدارس الأخرى أقحمت عناصر في الدراسة خالية من المعنى وتنتمي إلى الميتافيزيقا، وأراد للدرس اللساني أكثر تعمقا ودقة وقدرة على التمثيل الجبري، وهذا ما دعى إلى إضافة مصطلحات جديدة وكشف جوانب أخرى تتعلق بالنّص والتركيب، لم تكن هذه الاصطلاحات متوفرة ومكتشفة قبله.

المبحث الخامس: النظرية السياقية

أ) تأسيس روبرت فيرث وزملائه لنظرية السياق

لقد كانت المدرسة السياقية ممثلة في مجموعة علماء بريطانيين، فقد:" عرفت مدرسة لندن بما سمي بالمنهج السياقي Contextual Approach أو المنهج العملي Operatioinal Approach. وكان زعيم هذا الاتجاه Firth الذي وضع تأكيدا كبيرا على الوظيفة الاجتماعية للغة، كما ضمّ هذا الاتجاه أسماء مثل: Halliday و MC intosh و Sinclair و Mitchell. وعدّ Lyons أحد التطوريين الهامين المرتبطين بفيرث (نظريته السياقية للمعنى). ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدّور الذي تؤدّيه. ولهذا يصرّح فيرث بأنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة. ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم: معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى. وإنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وضعها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها. ومن أجل تركيزهم على السياقات اللغوية التي ترد فيها الكلمة وأهمية البحث عن ارتباطات الكلمة بالكلمات الأخرى نفوا أن يكون الطريق إلى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه أو

وصفه أو تعريفه"[1]؛ فقد كان فيرث ومن معه من علماء بريطانيين يركّزون على الجانب السياقي أو النّحوي، فكل كلمة لابدّ لها من مجاورة لكلمات تسندها و تعضدها، ولابدّ أن يكون هناك تجانس لمّا تتضام الكلمات وتتراصف، حيث أنّ الكلمة لا تؤدّي لوحدها وظيفة تواصلية، بل لابدّ من سياق ترد فيه مقاليٌّ ومقامي، فصنيع فيرث يشبه صنيع عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، فقد اشتغل فيرث ضمن نطاق علم الدلالة التي تعتبر فرعا عن اللسانيات، وقد شقّ لنفسه منهجا لسانيا منفردا مخالفا للمدارس الأوروبية التي سبقته، فقد ركّز على دراسة المدوّنات المنجزة التي رأى فيها سياقات لغوية لها قواعدها وضوابطها.

ب) أنواع السياق

السياقات كثيرة ومتنوعة حسب فيرث، ومن معه في مدرسة لندن،"...فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي. ومعنى الكلمة –على هذا– يتعدّل تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها، أو بعبارة أخرى تبعا لتوزعها اللغوي Linguistic Distribution. وقد اقترح K.Ammer تقسيما للسياق ذا أربع شعب يشمل:

1- السياق اللغوي Linguistic Context

2- السياق العاطفي Emotional context

3- سياق الموقف Situational Context

4- السياق الثقافي Cultural Context "[2].

أمّا السياق اللغوي:"...يمكن التمثيل له بكلمة Good الإنجليزية، ومثلها كلمة (حسن) العربية، أو (زين) العامية التي تقع في سياقات لغوية متنوعة وصفا لـ:

1) أشخاص: رجل، امرأة، ولد...

2) أشياء مؤقتة: وقت، يوم، حفلة، رحلة...

---

1 أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1998م، ص: 68، 69.

2 المرجع نفسه، ص 69.

3) مقادير: ملح، دقيق، هواء، ماء..."[1].

وأمّا السياق العاطفي:"...يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا. فكلمة Love الإنجليزية غير كلمة Like رغم اشتراكهما في أصل المعنى، وهو الحب. وكلمة (يكره) العربية غير كلمة (يبغض) رغم اشتراكهما في أصل المعنى كذلك"[2].

وأمّا سياق الموقف:"...يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة. مثل استعمال كلمة (يرحم) في مقام تشميت العاطس: (يرحمك الله) (البدء بالفعل)، وفي مقام الترحم بعد الموت: (الله يرحمه) (البدء بالاسم). فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا والثانية طلب الرحمة في الآخرة. وقد دلّ على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثّل في التّقديم والتّأخير"[3].

وأمّا السياق الثقافي:"...يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، فكلمة مثل Looking Glass تعتبر في بريطانيا علامة على الطبقة الاجتماعية العليا بالنسبة لكلمة Mirror، وكذلك كلمة Rich بالنسبة لكلمة Wealthy. وكلمة (عقيلته) تعد في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميّزة بالنسبة لكلمة زوجته مثلا. وكلمة (جذر) لها معنى عند المزارع، ومعنى ثانٍ عند اللغوي، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات"[4]؛ فالكلمة تأخذ سياقات عديدة في الاستعمال، تتحكم في وظيفتها النحوية عدّة أشياء لغوية، عاطفية، مواقف، وثقافة، فالطفل في أوّل مراحل حياته يسمع الكلمات ويفهم دلالتها، ثمّ بمرور الوقت سوف يدرك وجوه استعمالاتها والسياق المناسب لكل كلمة، وحتّى الذي يتعلّم لغة جديدة، سوف يحتاج إلى وقت وتدريب محدد بالممارسة حتّى يعرف سياقات لغات جديدة، فهناك دقة في الفروق بين الكلمات حتّى وإن تبدو مترادفة، وهناك عامل لغوي متمثّل في التقديم والتّأخير يُكسب المفردات كلمات مغايرة حسب التموضع، كما أنّ تخصص بعض الأشخاص يجعل الكلمات في تخصصه تحمل معاني جديدة وفروق تستحدث حسب تعدد ميدان استعمال المفردة الواحدة، ولهذا سميت نظرية فيرث نظرية السياق،

---

1 المرجع السابق، ص 69.

2 المرجع نفسه، ص: 70، 71.

3 المرجع نفسه، ص 71.

4 المرجع نفسه، ص 71.

أي السياق الذي تستعمل فيه الكلمات يتحكّم في اختيار المفردات ثمّ طريقة رصفها، وهذه الآراء في نظرية فيرث لا تختص بلغة واحدة كالإنجليزية مثلاً ففكرة السياق تختصّ بكلّ اللغات واللهجات ويمكن تعميمها والرقي بها إلى نظرية لسانية عامّة.

ج) بنية السياق

يعتبر "فان دايك" (Van dayk) أحد رفقاء جون.ر.فيرث، وله بحوث ممتازة ضمن النظرية السياقية في اللسانيات، ولنأخذ من أهم الأفكار التي ناقشها في كتابه (النص والسياق)، وهي "بنية السياق"التي يقول عليها:"...يوجد على الأقل في كلّ موقف تواصلي شخصان أحدهما فاعل حقيقي، والآخر فاعل على جهة الإمكان أي المتكلّم أو المخاطب على التوالي، وكلاهما ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية، أي طائفة من الأشخاص لها نفس اللغة وترابط ضروب الاتفاق والتواطؤ للقيام بالفعل المشترك الإنجاز...وطوال مدّة معينة من الوقت فإنّ نشاطات عضوين (فأكثر) من الجماعة قد تتسق وتنتظم على معنى أنّ المتكلّم ينتج عبارة أو ربّما ليس ذلك فحسب، وإنّما يصير فاعلا وينجز عددا من الأفعال الإنجازية، وقد يكون هذا الوصف لمميزات الموقف التواصلي أمرا بديهيا إلى حد ما، ولكن أيّة خواص مميزة ينبغي إعادة بنائها وتركيبها من الوجهة النظرية في إطار البنية السياقية وكيف تكون؟...والخاصية الأولى للسياق مما يتعيّن التّوكيد عليها هي الصفة أو الميزة (الديناميكية) المحرّكة. فليس السياق مجرّد حالة تلفّظ، وإنّما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ. وفضلا عن ذلك، لا تظل المواقف متماثلة في الزمان، وإنّما تتغيّر. وعلى ذلك فكل سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث، وقد يكون اتجاه الأحداث هذا...دالاً على حالة ابتدائية، وأحوالا وُسطى، وحالة نهائية. ولمّا كان ينبغي أن تتحدد السياقات من الوجهة النظرية، كان من الواجب أن تكون لها نهايات، إذ يتعيّن أن نعرف أيّة شروط يجب أن يستوفيها العالم الممكن حتّى نصف الحالة الابتدائية أو النهائية للسياق، وإن لم يحتج السياق المتناهي أن يوجد له طول محدود"[1] ؛ فالتخاطب اللغوي يحكمه سياق غير لغوي، لابد من وجود شخصين أو أكثر في التّخاطب، لهما نفس الميول واللغة والموضوع المشترك، ولابدّ من محرّك للأحداث التّواصلية، بأفعال الإنجاز –مثلا– التي تغذّي دورة

1 فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، المغرب، 2000، ص 258.

التّواصل، إنّ الكلام محكوم بعدّة عوامل حتّى يحدث وينمو، فالكلام له زمان محدد ومكان وأشخاص لهم خصائص معينة، فمن غير الممكن حدوث خطابات تواصلية بين شخصين لا يتّفقان وليس لهما خصائص مشتركة تجمعهما، فالسياق الخارجي يدعم تشكّل السياق اللغوي الدّاخلي، والمقام له دَخَلٌ في رصف الكلمات واختيارها وتشكيل التراكيب اللسانية.

د) مميزات النظرية السياقية

استنتجت الباحثة "نعمة دهش فرحان الطّائي" مجموعة من المميزات المتعلّقة بنظرية السياق لفيرث، وهي كالآتي:[1]

1- تعدّ نظرة فيرث إلى المعنى على أنّه وظيفة في سياق تحوّل في النّظر إلى المعنى بعد أن كان يوصف بأنّه علاقة بين اللفظ وما يحيل عليه في الخارج، أو في الذهن من حقائق وأحداث، لذا يعدّ فيرث من اللسانيين الوظيفيين البارزين.

2- إنّ السياق هو جوهر المعنى المقصود في أي بناء نصّي أو كلامي، فهو لا يلقي الضوء على الكلمة والجملة فقط، وإنّما على النص المكتوب والكلام المجمل من علاقة المفردات بعضها ببعض في أي سياق من السياقات المختلفة.

3- أقام فيرث رؤيته على البعد الاجتماعي للظاهرة اللغوية في أساسها الثقافي التواصلي، القائم على وصف العلاقة بين اللغة والأنساق الاجتماعية، وعلى تعاضد العلاقة النسقية الداخلية والعلاقة السياقية الخارجية في تفسير المعنى، وبذلك ينبغي لدارس اللغة أن يدرسها بوصفها جزءً من المسار الاجتماعي، أي كشكل من أشكال الحياة الإنسانية، وليس كمجموعة من العلامات الاعتباطية أو الإشارات كما عبّر دي سوسير.

فنظرية السياق كانت نظرية المعنى بحق، بعد أن تمّ تأجيله في كلّ الدراسات البنيوية التي سبقتها، فالمعنى يتحدد في السياق اللغوي، لمّا تتضام الكلمات وتتجاور، ثمّ ربط هذا السياق بالمحيط الاجتماعي الحاف بهذه التّراكيب والنّصوص والخطابات، فهناك عوامل عديدة تساهم في المعنى،

1 نعمة دهش فرحان الطائي، "امتداد السياق الاجتماعي على مساحات المعاني، مقاربة في ضوء اللسانيات الاجتماعية"، مجلة الأستاذ، عدد خاص بالمؤتمر العلمي السادس، العراق، 2018م، ص 125.

فالألفاظ لمّا تكون بعيدة عن السياق تظهر بوجه دلالي واحد، ولكن تموقعها السياقي يحيلها إلى دلالات جديدة، كما أنّ المتعاملين بهذه الألفاظ يضفون عليها دلالات وإيحاءات جديدة، فقد رأى فيرث أهمية السياق في التحليل اللغوي، وكان صنيعه بمثابة تحدٍّ للبنيويين بسبب صرامة المنهج البنيوي، كما أنّ فيرث صار وظيفيا بعد أن تحدّث عن اللغة في الاستعمال وربط السياق المقالي بالسياق المقامي.

تركّز نظرية فيرث على الوظيفة الاجتماعية للغة، فنظريته السياقية تقوم:"...على إعادة الاهتمام بالأحوال والمحيط الذي يتضمن الأحداث الكلامية. فالقول إنّ الإدراك اللغوي والمعرفي يحصلان عندما تنتقل الأفكار من رأس المتكلّم إلى السامع، ليس سوى خرافة مضللة. إنّ الكلام ليس أقوالا، بل أفعال تحتوي الحدث الكلامي، والقضايا المادية المحيطة بالنّص المنطوق أو المكتوب...وإنّ الترجمة الحرفية للكلام، تفقده وظيفته الأساسية، وهي التّواصل بين البشر. لذلك فإن معنى العبارات لا يتضح ولا يكون جليا إلاّ إذا روعيت الأنماط الحياتية للجماعة المتكلّمة، وكذا الحياة الثقافية والعاطفية والعلاقات التي تؤلّف بين الأفراد داخل المجتمع. فمعنى الكلام ليس سوى حصيلة لهذه العلاقات...وإهمالها يؤدّي حتما إلى غيابه (أي غياب المعنى). لذلك يصر فيرث على اعتبار اللغة جزءً من المسار الاجتماعي. وإن استخراج الدلالات اللسانية لا يكون ناجحا إلاّ إذا ربطت اللغة بالقضايا الاجتماعية، السياسية –الإنسانية للمجتمع. ومن هنا ظهر مصطلح السياق أو محيط الكلام Le contexte، فاللغة إذا، ليست مجرد إشارات واصطلاحات وأدلة، بل إنّها الرصيد الثقافي والاجتماعي، الذي يعين على فهم المعاني ضمن مواقعها. ومن هنا صارت هذه المدرسة (أي مدرسة فيرث) تدعو إلى استقراء وتتبع الدلالات لأنها الموضوع الأساسي للدراسات اللسانية"[1]؛ فنظرية فيرث أعادت الاعتبار للمعنى، والمعنى لا يتم استخلاصه إلاّ بالبعد التداولي للغة من ظروف الإنتاج وطبيعة الأشخاص والزمان والمكان وتاريخ صدور الكلام، فحسب فيرث فإن الاكتفاء بالجانب البنيوي لتحليل الكلام يكون منقوصا، وتصير المدونة تعوزها النقص، إنّ صنيع فيرث هو بداية لبروز التيارات اللسانية السياقية بعدما سيطرت البنيوية لمدة طويلة، ولكنّ البنيوية لم تقطع ذلك الشّوط إلاّ باستبعاد المعنى. بالرغم من تصريح سوسير بأنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، فلا يمكن تحليل الجمل

1 شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 20، 21.

والنصوص إلاّ بمعرفة ملابسات وظروف الإنتاج، فالمنهج البنيوي الصارم أفقد اللغة روحها وجوهرها وصارت اللغة مجرد رموز رياضية ومعادلات، ولكن اللغة تأبى ذلك لأن اللغة تحيى وتتغذّى من المجتمع ومن خصوصيات الأفراد وثقافتهم وتاريخهم.

هـ) النظرة الأحادية للغة

كان فيرث في بحثه أحادي النظر ولم يكن ثنائيا كسوسير، فقد:" نادى فيرث في منهجه المتميز بفلسفة الأحدية Monism ، إيمانا منه بأن ثمّة مبدءا غائيا واحدا ألا وهو المادة. فكان يرفض باستمرار بناء فكره اللغوي على ما يسمى بالثنائيات Dichotomies التي يصعب تحقيقها من الناحية العملية، وذلك على خلاف ما ذهب إليه دي سوسير تماما. لقد كان شديد الحرص على وصف اللغة بوصفها نشاطا معنويا في سياق اجتماعي معين. وجاء تبريره لهذا الموقف بقوله: بما أننا نعرف القليل عن العقل ودراستنا هي دراسة اجتماعية في جوهرها فسوف أكفّ عن احترام ثنائية الجسم والعقل والتفكير والكلام، وأكون راضيا بالإنسان ككل، يفكّر ويتصرّف وسط رفقائه كوحدة شاملة. ولتوضيح مبدئه من هذا المذهب المثير للشكوك. أردف قائلا: إن اجتنابي لاستعمال هذه الثنائيات لا ينبغي أن يفهم على أنني أقصيت مفهوم العقل إقصاءً أو احتضنت المذهب المادي احتضانًا"[1]؛ فقد كان فيرث مفارقة جديدة في ميدان البحث اللغوي، فقد أرجع كلّ شيء للسياق، وأعاد الاعتبار للمعنى، فقد خالف سوسير في فكرة الثنائية أو فكرة بيرس بالثلاثية للعلامة اللغوية، كان يرى في الإنسان كلاًّ شاملا ترتبط به اللغة والمعنى التزاما من غير تفرقة، هذا الإنسان الذي يعيش في وسط اجتماعي فيه تعرف اللغة وتدرك دلالتها، فكل من سوسير وفيرث يحتكمان لخلفية فكرية مختلفة، إلاّ أن فيرث لا يحاول أن يرفض طروحات سوسير، وذلك لمكانته الكبيرة في البحث اللساني والذي كان له الفصل في تخليص الدرس اللغوي من سقطته وإخراجه إلى التمحيص العلمي المنهجي.

و) البنية والنظام عند فيرث

تعتبر فكرة البنية والنظام عند سوسير حاملة لنفس المفهوم، لكنّ فيرث في:"...ميدان النحو والفونولوجيا، ميّز...بين البنية Structureوالنظام System، ولهذين المصطلحين دور كبير في

---

1 أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 173.

تحليل مختلف مظاهر النظرية الفيرثية وفهمها. فالبنية تدل على على كلّ العلاقات الموجودة على مستوى المحور الركني، أي الترتيب الأفقي لمختلف العناصر المناسبة. أمّا النظام فيدلّ على كل العلاقات الموجودة على مستوى المحور الاستبدالي بين مختلف العناصر، أي مجموعة الوحدات التي يمكن أن يعوّض بعضها بعضا في بنية ما على المستوى الرّأسي. ويمكننا توضيح الفرق بين البنية والنظام في أمثلة مأخوذة من اللغة العربية. فحسب هذه النظرية، فإن كلّ كلمة هي عبارة عن بنية متميّزة تتشكّل من وحدات مختلفة صائتة وصامتة كما في هذه الصيغة العامة (صامت+صائت+صامت) التي تمثلها المفردات الثلاثية التالية: (رام، وقام، وجاب، وكوب، وقوم، وريب وعين). أمّا مجموعة الصوائت والصوامت التي تحلّ محل الوحدات الثلاث للبنية، فتعدّ أنظمة مختلفة. وبهذا يكون نظام الصوائت الاستهلالية الممكنة في هذه البنية مختلفا كمًّا وكيفا عن نظام صوامتها الختامية"[1]؛ فهناك إذا بنية تتحكّم في تواصل الصّوامت والصوائت، أي ما بين الأصوات، وهناك نظام يتحكّم في الاختيار من قائمة الأصوات، لأنّ الحروف لابدّ لها من مناسبة، فقد كان فيرث يحاول أن يكون أكثر دقّة وتمييزا مع سوسير، وهو بهذا يريد إثراء تقنيات التحليل حتّى تكون أكثر إجرائية ونجاعة، كما أنّ فيرث يحاول أنّ يجعل للمعنى مقاما مميزا عبر مختلف الآليات والتقنيات التحليلية اللغوية.

ز) المنهج السياقي والمنهج التحليلي

لقد أيّد روّاد المنهج التحليلي المنهجَ السياقي لما يقدّمه من خدمة جليلة لهم، فـ:"...المنهج السياقي خطوة تمهيدية للمنهج التحليلي، ومن هؤلاء Ullmann الذي صرّح بأنّ المعجمي يجب أولا أن يلاحظ كل كلمة في سياقها (كما ترد في الحديث أو النص المكتوب). بمعنى أننا يجب أن ندرسها في واقع عملي In operation (أي في الكلام)، ثمّ تستخلص من هذه الأحداث الواقعية العامل المشترك العام، ونسجّله على أنه المعنى (أو المعاني) للكلمة. ويرى Ullmann أنّه: (بعد أن يجمع المعجمي عددا من السياقات الممثلة التي ترد فيها كلمة معينة، وحينما يتوقف أي جمع آخر للسياقات عن إعطاء أي معلومات جديدة يأتي الجانب العملي إلى نهايته، ويصبح المجال مفتوحا أمام المنهج التحليلي). وبذا يخفض العدد اللامحدود من الأحداث الكلامية الفردية المتنوعة إلى عدد محدود من

---

1 المرجع السابق، ص: 176، 177.

الأحداث الثابتة"[1]؛ ففكرة السياق، أو سياق استعمال المفردات بعد جمعها في أحداث كلامية عديدة يؤدّي ذلك إلى تسهيل عمل أصحاب المنهج التحليلي، لتحديد سياقات ثابتة للكلمات، فنحن ننطلق من مدوّنة حيّة منجزة في ظرف ومقام اجتماعي ما، ثمّ نسجّل فقط السياقات الثابتة والتي تتكرر في قاعدة واحدة، فنحدد سياقات الكلمات ونسهّل بذلك عملية التقعيد والحصر بعدما كان استخدام الكلمات غير محدود، ولكنّ الظّواهر محدودة ومقننة، ففكرة السياق ونظريته والتي صاحبها التحليل والتّدقيق والنظر، أعطتنا فكرة عن وجوه استعمال الكلمات والظواهر التي تتحكم فيها، وهذا ما مهّد لإنشاء نظرية لسانية إضافية هي النظرية التحليلية.

ح) الكلمة عند رواد النظرية السياقية

يعتبر "ستيفن أولمان" أحد الرّواد المشهورين في نظرية فيرث اللسانية السياقية، فهو يعرّف (الكلمة) في كتابه (دور الكلمة في اللغة) كما يلي:" الكلمة...هي أصغر وحدة ذات معنى للكلام واللغة، بيد أنّه ليس هناك تعريف وحيد أو تعريف جامع مانع لمثل هذا النوع من المصطلحات المجرّدة، فهي مصطلحات يصعب تعريفها وإن كان من السهل عادة التعرّف عليها. ولقد اقترحت عبارات فنية شتّى يقصد بها إلى بيان بعض الجوانب الأساسية للكلمة. فهناك من العلماء من يهتم بوظيفتها بوصفها وحدة المعنى، ومنهم من يعدّها (أصغر وحدة حرّة) وهذه عبارة بلومفيلد، ويعني هؤلاء بذلك (كما صرّح ل .ر.بالمار): (أنّها أصغر وحدة كلامية قادرة على القيام بدور نطق تام)...ومدرسة فكرية ثالثة تفضّل معنى الكلمات بأنّها مقابلات استدلالية...(وهذا رأي ر.فيرث). وفي هذه الحالة يكون تناظر الأصوات هو الفيصل في الأمر، وتوضيح ذلك مثلا أنّ استبدال الأصوات ذات الصفات المميزة بغيرها، أو إضافة هذه الأصوات أو حذفها يؤدّي إلى وجود كلمات جديدة. وعلى هذا النحو يؤدّي تغيير أي عنصر من عناصر الكلمة Pin مثلا إلى صيرورتها bin، Pan، Pit، والإضافة إليها تصيرها Spin، وأما الحذف فيحولها إلى In وهكذا، وبهذه الطريقة نفسها يؤدّي تغيّر الكلمات إلى تغيير مضمون التراكيب أو الجمل..."[2]؛ فالكلمة هي أساس التحليل السياقي، فعليها تُبنى التراكيب، لأنّها وحدات دلالية صغرى تُضاف إلى بعضها لتحقيق دلالات أكبر، وأهم شيء يجسّد

---

1 أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 72.

2 ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، مصر، ص 45.

اللغة هو ابتكار وتوليد الكلمات، فعددها محصور في كلّ لغة، ويخضع إلى الزيادة أو النقصان حسب ثراء اللغة أو ضعفها، ولها قوانين خاصة في تشكّلها عبر كل لغة، كاللغة العربية التي تخضع فيها الكلمات إلى الأوزان الصرفية، كما أن كل لغة تقترض الكلمات من لغات أخرى حسب درجة تعامل متكلّمي اللغات بلغات أخرى مجاورة دعت الحاجة إلى التقرّب والاقتراض منها، والمحلل السياقي في اللسانيات يعرف للكلمات ما لها من دور، فهي أساس البنية والنظام اللغوي، هناك منطق ونظام خاص يحكم تجاور الكلمات في كلّ لغة، وهناك ترتيب معيّن، وهناك زوائد قبلية وبعدية تساهم في إضافة دلالات إضافية لجذر الكلمات.

وحسب أولمان فإن الكلمات لمّا تكون لوحدها منفردة عن التركيب تأخذ معنى، ولكنّ توظيفها في تراكيب سياقية يكسبها معانٍ عاطفية نكتشفها عند قراءتنا للتراكيب وسياق استخدام الكلمات، فـ:" السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنّها تعبير موضوعي صرف، أو أنّها قصد بها –أساسا– التعبير عن العواطف والانفعالات وإلى إثارة هذه العواطف والانفعالات. ويتّضح هذا بصفة خاصة في مجموعة معينة من الكلمات نحو (حرية وعدل) التي قد تشحن في كثير من الأحيان بمضمونات عاطفية، بل إنّ بعض الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية قد يكتسب نغمة عاطفية قوية غير متوقعة في المواقف الانفعالية. مثال ذلك كلمة (جدار) في هذه القطعة من (حلم ليلة في منتصف الصيف):

وأنت أيّها الجدار! أيّها الجدار الحلو الجميل!

أنت الذي تحول بين بيت أبيها وبيتي

أنت أيّها الجدار! أيّها الجدار الحلو الجميل!

ألا تتصدّع من أجلي فألمحها بعيني!

شكرا لك أيّها الجدار المهذّب: رعاك الله من أجل هذا الصنيع

لا! أنت أيّها الجدار اللئيم الذي لا أرى من خلاله رحمة

لعنة الله على كلّ حجر فيك، لقد خدعتني!

وهكذا نرى السياق وحده هو الذي يساعدنا على إدراك التبادل بين المعاني الموضوعية والمعاني العاطفية والانفعالية"[1]؛ فالسياق اللغوي للكلمات في التراكيب هو الذي يحدد دلالتها، فقد تكتسب الكلمة معانٍ أخرى مغايرة، غير التي ألفناها في مستواها المنفرد الموضوعي أو في استعمالها العادي، والاستخدام العاطفي للكلمات هو الذي يفتح أمامها المجال لكي تزيد ثراءً واكتسابا لمعانٍ لا تنتهي، تعتمد على براعة الكاتب وقدرة القارئ أو السامع على معرفة المرامي والمقاصد، فنحن خلال حياتنا اليومية أو ضمن مجال الأدب نغيّر في دلالات الكلمات إلى معانٍ جديدة وفضاءات رحبة لم تكن مكتشفة، وهذا ما يزيد من رصيد اللغة على التعبير وعلى التفجّر الدلالي، والسامع بخبرته في التعامل اللغوي وبمنطقه يعرف ما إذا كان الكلام موضوعيا وعاطفيا، كما أنّ الكلمة في سياقها الاجتماعي كثيرا ما تأخذ معانٍ عاطفية مثل جملة (يوم أسود) أو (ليلة بيضاء).

---

1 المرجع السابق، ص 58.



الفصل الثاني

المدارس اللسانية الأمريكية

المبحث الأول: اللسانيات الأنثروبولوجية

أ) إدوارد سابير مؤسس اللسانيات الأنثروبولوجية

يعتبر "إدوارد سابير" Edward Sapir (1884-1939) رائد التوجّه اللساني الأنثروبولوجي الأمريكي، وُلد"...في ألمانيا عام 1884م، وهاجر إلى أمريكا وهو ابن خمس سنوات. وبعد المرحلتين الابتدائية والثانوية في نيويورك، تابع الدراسات العليا في اللغة الألمانية في جامعة كولومبيا، وهو الأمر الذي مكّنه من الاحتكاك باللسانيات من خلال محاضرات فرانز بواص، وكان لهذا اللقاء، شأنه في ذلك شأن اللقاءات اللاحقة ببنجامان لي وورف، الأثر البالغ في توجيه أعماله. ويعدّ بواص الذي تلقّى تكوينه في مدرسة النحاة الجدد الألمانية، صاحب الاختصاص في لغات هنود أمريكا الشّمالية في بداية القرن العشرين. قد مهّد الأسس لنحو اللغات الأمريكية- الهندية المقارن من خلال مؤلّفه كرّاسة اللغات الأمريكية الهندية (من 1911 إلى 1938) ومؤلّفات أخرى. ومكّن هذا المسمّى السنكروني المعتمد بسبب غياب تام للتراث المكتوب من تجلية تعقّد اللغات الهندية من المكسيك إلى الألسكا وتنوعها الشّديد، وتحت تأثير بواص اتّجه سابير في الآن نفسه نحو الأنثروبولوجيا واللسانيات. فشارك في رحلات إثنولوجية عديدة، وأقام طويلا في القبائل الهندية في أمريكا الشّمالية، وما تزال مؤلّفاته الأنثروبولوجية، وخصوصا تلك المتعلّقة بأنساق القرابة تحمل بصمات الموقف الذي نقله إليه بواص"[1]؛ فسابير ساعدته ظروف أمريكا الشّمالية من حيث الاستقرار والدعم، فقد راح يدرس لغات القبائل الهندية، وفي الوقت نفسه كان متأثّرا بالمنهج البنيوي السوسيري، حاول أن يعطي نظرية في اللغة من خلال دراسة تاريخ اللغات الأمريكية وصلة القرابة فيما بينها، كما كان لدعم أستاذه فرانز بواز الأثر البالغ، فقد تميّز سابير بالبحوث الميدانية عن طريق سماع اللغات من متكلّميها، فصنيعه يشبه اللسانيات المقارنة، ولكن تغلب عليه الدّراسة الآنية بهدف إعطاء صورة فعلية عن طبيعة أنساق النظام اللغوي، لقد وجد سابير في الأنثروبولوجيا (علم الإناسة) الوسيلة النافعة لكشف بنية وملابسات النّظام اللغوي، فصار بذلك صاحب نظرية لسانية لها وزنها في البحث اللساني.

لسابير طريقته المميزة في معالجة الظاهرة اللغوية، فقد كان:"...عالما رائعا ذا أفق علمي أفقي، فقد بحث كل الأسر اللغوية الكبرى تقريبا، وكان فضلا عن ذلك عالما في الأدب، وبالغ التذوّق

---

1 جان بيار برونكار، أنثروبولوجيا اللغة، تر: أحمد الفوحي، مجلة علامات، العدد 22، المغرب، 2004م، ص 121.

للموسيقى. وقد عني بالعلاقات بين اللغة والأدب، واللغة والثقافة عناية خاصّة، وبوجه عام العلاقات بين اللغة وحامليها، وهو الاتجاه الذي صار معروفا بعلم اللغة العرقي Etholinguistic. وأكّد سابير أن البنية اللغوية تعكس نماذج نفسية، تتبع عند بناء المنطوقات وفهمها، ولم تكن هذه الفرضية الكاملة الصحّة حسب فهمنا الحالي في الثّلاثينات متوافقة مع الاتجاه اللغوي السّائد في الولايات المتّحدة الأمريكية، فقد كانت توصف بأنّها اتجاه عقلي Mentalismus، ويحطّ من شأنها، ويمكن بذلك أن تكون قد أدخلت (أقحمت) مضامين الوعي في علم اللغة. بيد أنّه ينبغي هنا أن يؤكّد أنّه قد تعلّقت بتصوّرات سابير مجموعة مؤثّرة أيضا من علماء مهمّين، وإن لم يكونوا أيضا في مسار التّقليد الذي يتخلل هذا الكتاب كخط أحمر. ولا يذكر هنا إلاّ كينث.ل.بايك K.L.Pike و هـ.هويجر H.Hoijer. وأخيرا ينبغي أن يذكر أيضا بنيامين.ل.وورف B.L.Whorf (1897-1941) الذي تعرض نظريته النسبية اللغوية، وتذكر أيضا فرضية سابير-وورف شرحا (تفسيرا) مميّزا لفرضيات سابير حول العلاقة بين الأبنية اللغوية وأبنية الفكر، ويعكس ذلك تلقّي سابير أفكار هومبولت : إذ لمّا كان لكل لغة بنية محددة فإنّها تقسّم الواقع بطريقتها الخاصة، وتجبر أبناء اللغة (الناطقين بهذه اللغة) على قبول ذلك التقسيم للعالم"[1]؛ فقد كانت هناك تيّارات نفسية وثقافية وفلسفية أثّرت على سابير، فقد بنى نظريته اللغوية بالمزج بين الثقافة والفكر وعلم النّفس وتحدّى في ذلك الوقت الفرق الكبير بين أفكاره وأفكار معاصريه، وبذلك التحدّي صارت النظرية اللغوية تنهل من المجتمع ومن الذات البشرية بما تفرضه من منطق على اللغة، فقد أُعيد الاعتبار للأنا وما تساهم به في صنع النّماذج اللغوية، بعدما كان الأنا مستبعدا من طرف علماء اللغة الأوربيين، فقد منح سابير ومن سايره التميّز للنظرية اللسانية الأمريكية، لأنّه أثرى اللسانيات بأفكار جديدة وثراء مميز يستجيب للتاريخ والعلاقات الإنسانية وللمجتمع القديم والمعاصر.

ب) مفهوم اللغة عند سابير

لسابير رأيه الخاص حول اللغة،"...يشير سابير في كتابه الشهير (اللغة Language) إلى أنّ الفوارق بين اللغات ما هي إلاّ فوارق في طرق التعبير عن مجال مشترك من الخبرات وليس فوارق

1 بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة، من هرمان باول حتّى ناعوم تشومسكي، مؤسسة المختار، ط1، مصر، 2004م، ص: 201، 202.

في الخبرات نفسها (سابير Sapir، 1921م، ص 218)، لكنّه ما لبث أن غيّر رأيه فيما بعد. خذ مثلا النّصين التاليين:(لا يعيش النّاس وحيدين في العالم المادي، كما أنّهم لا ينفردون في النشاط الاجتماعي كما يفهم عادة، لكنّهم تحت رحمة تلك اللغة الخاصة التي أصبحت واسطة التعبير في مجتمعهم. ومن الوهم أن نتخيّل أنّ المرء يتأقلم مع الواقع بشكل أساسي دون استخدام اللغة، وأنّ اللغة ليست سوى واسطة طارئة هدفها حل مشكلات معينة في التّواصل والتّفكير. فالحقيقة تقول: إنّ العالم الحقيقي قائمٌ إلى حدٍّ بعيد وبصورة لا شعورية على العادات اللغوية لدى الجماعة، وليس ثمّة لغتان هما من الشبه إلى حدٍّ يجعلنا نقول إنّهما تمثّلان الحقيقة الاجتماعية نفسها. فالعوالم التي تعيش فيها المجتمعات المختلفة هي عوالم متباينة، وليست عالما واحدا بأسماء مختلفة. سابير، 1929، ص 209، الحروف المائلة. اللغة...لا ترتبط بالخبرة التي تكتسب إلى حدٍّ كبير بدون مساعدتها فحسب، بل تعرف لنا الخبرة أيضا من خلال كمالها الشّكلي، ولأننا بصورة لاشعورية نسقط توقّعاتها الضمنية على حقل الخبرة. فالعناصر مثل العدد والجنس وحالة الإعراب والزمن لا تكتشف في الخبرة بقدر ما هي مفروضة عليها بسبب السيطرة الطّاغية التي يفرضها الشّكل اللغوي على توجّهاتها في العالم. سابير 1931، الحروف المائلة)"[1]؛ فاللغة تتحكّم فينا، ولكلّ مجتمع نظرته إلى العالم، إنّ نظام اللغة الشّكلي يوجّه خبراتنا، فهي تفرض علينا أشياء كثيرة، إنّ الفكر سابقٌ للغة، والخبرات كلّها فكر، لكنّ العقل يصوغ هذا الفكر في نظام لغوي، يصير ذلك النظام اللغوي متحكّما في كلّ خبراتنا وتجارب الذات مع الوجود، إنّ لكل مجتمع نظرته الخاصة للعالم من حوله، فكلّ لغة لها نظامها الصوتي والنحوي والدلالي على وجه الخصوص، فسابير بهذا يخالف اللسانيين الأوربيين الذين يسعون لتوحيد النظرية اللغوية، صحيح أنّ هناك أشياء مشتركة بين اللغات تستحق أن تعمم، ولكن تبقى لكل لغة نظرتها ونظامها وفهمها للأشياء، وقد اكتشف سابير ذلك خلال معاينته المباشرة للغات الهندية القديمة.

ج) علاقة اللسانيات بعلم الاجتماع والثقافة والأنثروبولوجيا وعلم النفس

1 جفري سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق والتطوّر، تر: محمد زياد كبّة، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1996م، ص: 80، 81.

يرى روّاد اللسانيات الأنثروبولوجية وعلى رأسهم سابير أنّ اللغة ذات طبيعة اجتماعية وثقافية، فـ:"...قد حدت أعمال بواص و وورف العديدة والأعمال التي أنجزها سابير بهذا الأخير إلى الوعي بالتنوع الشديد الذي تعرفه أنساق اللغة المختلفة، سواءً تعلّق الأمر بالمستوى المعجمي أو الصوتي أو الصرفي في الاختلاف بين اللغات جليٌّ وواضحٌ، وهذا لا يقتصر على اللّغات الغربية (وخصوصا اللغات المنتمية إلى المجموعتين الهندية الأوروبية والفنلندية المجرية) والأمريكية الهندية فحسب، وإنّما يهم مختلف اللغات الهندية أيضا ويرافق هذا التعدد اللغوي تنوع عميق للمؤسسات الاجتماعية والأعراف الثقافية. فالأنشطة الإنسانية، الثقافية واللغوية تتغيّر باستمرار كلّما انتقلنا من مجموعة بشرية إلى أخرى، لأنّه إرث الجماعة التاريخي الخالص، ونتاج التقاليد الضاربة في القدم. وكما هو الشّأن عند سوسير فإنّ سابير يقدّم اللغة منذ البداية على أنّها مؤسسة تاريخية وثقافية واجتماعية مؤسسة تتغيّر في الزمان والمكان بطريقة عفوية على ما يبدو. فاللغة تتوفّر على خاصّة، تشترك فيها مع كل الظّواهر الثقافية، إنّها بالأساس، نسبية ومتغيّرة واتفاقية. ورغم هذه النّسبية الأوّلية، فإنّ اللغة تمثّل قاسما مشتركا بين كل أفراد المجتمع، لا ينفصل عن الظاهرة الاجتماعية نفسها، إنّها تقوم داخل المجموعة بقدر معيّن من الوظائف الضّرورية، بل اللازمة لاستمرارها في الوجود"[1]؛ فاللغة تتبّع وتتغيّر وتتنوع بالعامل الاجتماعي، والمجتمعات تتغيّر وتتسم وتتقيّد بعاداتها وتقاليدها وظروفها التاريخية، إنّ هناك أنساقا منظّمة تحكم الثقافات والمجتمعات تؤثّر على أنظمة لغاتها، فاللغة تتطوّر وتتبدّل تبعا لما يطرأ على المجتمع من عوارض تاريخية وثقافية، يمكن استخلاص قوانين عمومية لتغيّر الأنساق الثقافية والتي بدورها تكون ذات تأثير على بنية اللغة وهيكلتها. إن عالم اللغة عليه أن يكون موسوعيا، عالما بسلوك المجتمع، وعارفا بالتاريخ، وفاحصا للعادات اللغوية من حيث تشابهها واختلافها عند المجتمعات، وعليه أن يكون على احتكاك دائم بالعيّنة التي يدرسها حتّى يستخلص النّظرية اللغوية في تمامها، ونابعة من صلب المجتمع وأنساقه الثقافية.

للسانيات في أمريكا إطار مميّز يطبعها يختلف عن الإطار الذي ميّز البحث اللساني الأوربي، "وأهم ما يميّز اللسانيات الأمريكية هو الإطار الفكري الذي ظهرت فيه وتطوّرت إلى أن استقامت وأصبحت على ما هي عليه مع سابير وبلومفيلد، لها سماتها وملامحها التي تميّزها عن اللسانيات

1 جان بيار برونكار، أنثروبولوجيا اللغة، ص 122.

الأوروبية. فإذا كانت اللسانيات العامة في أوربا قد ارتبطت في نشأتها بالفيلولوجيا المقارنة أو التاريخية، وكان أعلامها على دراية كبيرة بالألسن الكلاسيكية (اليونانية اللاتينية)، وبالألسن الأوروبية الحديثة وآدابها، فإنّ اللسانيات الأميريكية نشأت في ارتباط وثيق بعلمين آخرين هما علم النفس والأنثروبولوجيا. وقد ازدهرت هذه الأخيرة في أمريكا نتيجة ما وفّرته من أساليب جديدة لدراسة المحيط الحضاري والعرقي للأقليات اللغوية والإثنية التي يتشكّل منها الشعب الأمريكي. وتبعا للتقليد الذي أرساه بوعاز، فقد انبثقت أقسام اللغويات في الجامعات الأمريكية من أقسام الأنثروبولوجيا بعكس ما حصل في الجامعات الأوروبية التي انبثقت فيها اللسانيات العامة من أقسام الألسن الحديثة. ونظرا للتداخل الوثيق بين الأنثروبولوجيا واللسانيات، كان جلّ اللسانيين الأمريكيين أنثروبولوجيين، وكان العديد من الأنثروبولوجيين لسانيين، وللأنثروبولوجيا في الفكر الأمريكي دلالة أعمّ وأشمل ممّا عليه في أوربا، فهي تشمل ضمن أشياء أخرى، ما يسمّى بالإثنولوجيا وبعض جوانب علم الاجتماع وتاريخ الأديان، والإثنولوجيا هي العلم الذي يختص بدراسة الظّواهر العقلية في حياة الشّعوب، وكان الرّأي السائد في هذه الفترة أنّ اللسانيات باعتبارها دراسة أحد أهم الجوانب في حياة الفرد والجماعة يجب أن تكون جزءً من الإثنولوجيا"[1]؛ فاللسانيات الأمريكية تميّزت تبعا للظروف والعلوم المحيطة بها، جاءت استجابة للمؤثّرات الأنثروبولوجية والنفسية والاجتماعية، حيث تمّ دراسة شعوب أمريكا من كلّ الجوانب، وكان الإنسان يضمّ جوانب عديدة اجتماعية ونفسية وحياتية وعقائدية ولغوية تتداخل كلّ هذه العناصر فيما بينها، فاللغة تعيش في محيط اجتماعي وفي إطار علاقات إنسانية وثقافية تؤثّر فيها وتتأثّر بها، فتصير الثقافة صانعة للغة، ثمّ اللغة فيما بعد صانعة للثقافة. إنّ الأنثروبولوجي فرانز بواز كان له أثر على تلاميذه كسابير مثلا، الذي أحاط بالمجتمعات الأمريكية من كلّ الجوانب، وكان يتمثّل مختلف جوانب الكائن الإنساني في اللغة ويدرس كيفية تأثير ذلك، وبالأخص مع علمنا بثراء القبائل الأمريكية من ناحية الثقافات والتاريخ واللهجات، حيث تمّ المزج بين مختلف المكوّنات لمقاربة النّظرية اللغوية.

د) الدّراسة الصوتية عند سابير

---

1 مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، ص 357.

لسابير آراؤه التي تطبعه في اللسانيات، وفي الجانب الصوتي على وجه الخصوص،" درس أنماط الصوت في اللغة وأظهر أنّ أصوات اللغة بدلا من أنها ظواهر فيزيقية حصرية، وإنّما لها قيمة نفسية (سيكولوجية)، لانتماء نظام الصوت في كلّ اللغات إلى نظام موحّد منفصل الذي يعمل عن طريق التباين، إذ يتم تحديد مجموعات الصّوت من خلال الاصطلاحات الثقافية اللغوية وليس عن طريق الضرورة الفسيولوجية، مع التّأكيد على البنية اللاشعورية وحقيقية الخصائص الصّوتية والنحوية للغة، كما طوّر النظرية القائلة بأنّه يجب النظر إلى الثقافات على أنّها نماذج تعليمية فردية للاصطلاح الثقافي، أي نموذج السّلوك غير المقصود في المجتمع، وأنّه إذا أراد المرء أن يعرف كيف تُبنى اللغة بالنسبة للناطقين بها فإنّه من المناسب أن يوجّه السّؤال إليهم، وأشار إلى أنّ الفوارق بين اللغات ما هي إلاّ فوارق في طرق التّعبير عن المجال المشترك للخبرات، وليس الفوارق في الخبرات نفسها. كما يعدّ أحد مؤسسي علم الأصوات Phonology البنيوي والقائل بنوع من النسبية الثقافية، والتي بموجبها تشكّل اللغات نماذج الثقافات والتمثّلات المختلفة لكل ثقافة، وقد اشتهر في المقام الأوّل بوصفه ألسنيا، وتأكيد النظرية القائمة على أنّ اللغة هي المنظِّمة والمصنِّفة للتجربة الحسّية، وقد شكّلت نظريته ركيزة أبحاثه الأنثروبولوجية..."[1]؛ فقد ركّز سابير على مفهوم الثقافة وتجسّدها في كلّ أجزاء اللغة، بدءً من الصّوت ووصولا إلى التّركيب، فثقافة الفرد وذاته تؤثّر على النظام اللغوي. إننا على وعي تام بكلّ ما نقوله ونسمعه، وننقل من المجال المحيط بنا إلى اللغة من خبرات اجتماعية وعادات وتقاليد وقناعات، حتّى الأصوات لها مجالها الذي ينظّمها في كلّ لغة، فالفرد مشكّل للصوت والأفراد يتّسمون بالتشابه لتشكيل النّظام الصوتي الكلي، إنّ سابير كان أنثروبولوجيا وقد نظر إلى اللغة من هذا الجانب تبنى بالثقافة والعوامل الاجتماعية، لأن مواصفات وخصائص الإنسان تؤثّر عن كلّ ما يصدر عنه كالفرع الذي يحمل خصائص الأصل.

يعدّ سابير:"...رائد مدرسة اللسانيات الذهنية وهي مدرسة تستند في الدّراسة اللسانية إلى بعض الفروع التي تعضدها، مثل: علم النفس، وعلم الأجناس، ذلك أنّ سابير عُرف باتجاهه الذهني، إذ جلّ اهتمامه الاعتماد على النّشاط الذهني لتفسير الظّواهر النفسية، ولذلك دعيت باللسانيات الذهنية.

---

1 ياس خضر عباس العباسي، "النسبية اللغوية في حقل الأنثروبولوجيا الثقافية "، الجامعة المستنصرية، العراق، 2019م، ص 10.

يعزو إليه تروبتسكوي التوصّل إلى فكرة وجود الفونيم، وأنّه كان يسمّيه في البداية (صوتًا نموذجيا)، وأنّ هذا التوصّل كان بمنأى عن (بودوان دو كورتيني)...وسوسور نفسه، ولا يعني ذلك أنّ في مكنة الدّارس إهمال القول بتأثّره بـ (كورتيني) وهو الذي وجد (سوسور) لديه الكثير من التشجيع فيما يخص هذه المسألة، يعني فكرة الفونيم، ومهما يكن فإننا نجد لدى سابير، ومنذ عام 1921 كل العناصر التي تكوّن مفهوم الفونيم تقريبا. لقد كان سابير ذا قدرة مميزة على التنظير الفكري، فتجاوز بذلك حدود الفكر البنيوي السّوسوري، ففرّقا في اللغة بين المنظومة الفيزيائية والمنظومة النّموذجية، وهذه المنظومة مبدأ حقيقي بالغ الأهمية في حياة اللغة. كان يرى أنّ النّموذج الصوتي لأيّة لغة نموذجٌ ثابت ولو عرض التغيير طول المحتوى الصّوتي، فقد يكون للغتين نماذجٌ صوتية متعددة، إلاّ أنّ الأصوات التي تصدر عنها تتشابه فيما بينها"[1]؛ فقد كان سابير بعيد الغور ولديه قدرة مميزة على تصوّر وتمثّل النظام اللغوي، فقد استفاد من جهود اللسانيين من قبله وفي الوقت نفسه كان لديه القدرة على الابتكار، فقد رجّح الكفّة لساحة الدّراسة اللسانية في أمريكا، بعد تطورها في أوربا، ولقد كان سابير لا يتأخّر في الاستفادة من العلوم المختلفة التي لها علاقة باللغة، عكس اللسانيين البنيويين الأوربيين الذين كانوا شديدي التحفّظ، واعتقادهم بأن العلوم المجاورة للغة ليست لها إفادة هامّة، فقد فرّق سابير بين اللغة في الإنجاز واللغة في النّموذج المتمثّل، لأنّ الإنجاز متشابه والتمثّل متعدد، لقد كان مهتمًّا بالمستوى الصّوتي بصفته أهم عناصر تُبنى عليه اللغة، فالصّوت عنده ظاهرة نفسية لغوية اجتماعية وثقافية.

هـ) رأي برنت برلين وبول كاي حول نسبية اللغات لوورف

من العلماء الأنثروبولوجيين اللسانيين نجد "برنت برلين Brent berlin" و "بول كاي Paul kay" اللذان عارضا "وورف Worf" في فكرة "النسبية اللغوية"، فقد أثارا: "ضجّة كبرى عام 1969م عندما نشرا كتابا بعنوان: (أسماء الألوان الأساسية) هاجما فيه النسبية اللسانية في الحقل الذي بدت فيه أنّها في مأمن من الهجوم وذلك اعتمادا على براهين وافرة. وينتسب برلين وكاي إلى حركة لسانية جديدة تقول إنّ اللغات الإنسانية تشترك جميعها في قالب يتحدد بتركيب نفسي ضمن النوع البشري...ولا

---

1 وليد محمد السراقبي، الألسنية: مفهومها، مبانيها المعرفية، ومدارسها، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، لبنان، 2019م، ص: 127، 128.

يعترض هذان العالمان على فكرة ورف التي تقول إنّ طبيعة اللغة وثيقة الصلة برؤية العالم عند الناطقين بها، لكنهما يعترضان على النصف الآخر من فرضية ورف والذي يقول إنّ بين اللغات– ورؤية العالم التي تشترك معها تختلف اختلافا شاسعا عن بعضها البعض. ومن الواضح أن برلين وكاي يعترفان بوجود فوارق بين عبارات الألوان في اللغات المختلفة، لكنهما يقولان إنّ هذه الفوارق ليست سوى قضايا سطحية تخفي وراءها مبادئ عميقة كامنة تشترك فيها أسماء الألوان في جميع اللغات. ويبدأ برلين وكاي البحث في أسماء الألوان في عشرين لغة من مناطق متباعدة من العالم، مستعملين أحكام المتكلّمين الأصليين حول كيفية تسمية الأجزاء المختلفة من جدول ضخم للألوان القياسية. وبدأ الاثنان بإعداد لائحة بأهم مفردات الألوان الأساسية في كلّ لغة من تلك اللغات، باستثناء المفردات المعبّرة عن ظلال الألوان (الأحمر في اللغة الإنجليزية يدخل في قائمة المفردات، بينما يستبعد القرمزي لأنّه يعتبر من الأحمر)..."[1]؛ فنحن نرى من خلال هذه الفكرة أنّ روّاد اللسانيات الأنثروبولوجية لم يأمنوا من الانتقاد والمعارضة حتّى فيما بينهم، إنّ فكرة النسبية اللغوية كانت مسلّمة عند اللسانيين الأنثروبولوجيين لكن برلين وكاي أثبتا خطأ هذه الدّعوى، وكشفا بالدليل القاطع توافق اللغات في النّظر إلى العالم وأبسط مثال على ذلك نظام الألوان المتفق عند جميع اللغات وذلك عبر التحليل المتأنّي العميق، إنّ موضوعا يبدو بسيطا عند اللسانيين وهو تسمية الألوان واصطلاحاتها جعل منه برلين وكاي قضايا استدلالية وبرهانية مترامية الأطراف، إنّ هؤلاء اللسانيين كانوا فلاسفة وعلماء استطاعوا ابتكار آفاق كبيرة ضمن منحى اللسانيات الأنثروبولوجية.

و) الأنثروبولوجيا الألسنية والألسنية الاجتماعية

هناك علاقة وثيقة بين الأنثروبولوجيا الألسنية والألسنية الاجتماعية عند الدارسين اللسانيين الأمريكيين،" تعتبر الألسنية الاجتماعية الأقرب إلى الأنثروبولوجيا الألسنية من بين كل حقول المعرفة المتعلقة بعلوم الاجتماع والإنسان التي تُعنى بدراسة التواصل. فإذا نظرنا بالفعل إلى تاريخ المادتين نرى أنّه يصعب تمييزهما. بالرغم من أنّ الكثير من الألسنيين الاجتماعيين يفضّل الطرق المعتمدة على الأرقام والعمل بالأخص في المدن، بينما معظم الأنثروبولوجيين الألسنيين يفضّل الطرق المعتمدة على الأرقام والعمل بالأخص في المدن، بينما معظم الأنثروبولوجيين الألسنيين يفضّل

---

1 جفري سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق والتطوّر، ص: 95، 96.

الطرق النوعية، أي غير المعتمدة على الأرقام، والعمل في المجتمعات الصغيرة، إنّ حصيلة أهداف عملهم تبدو متشابهة مع أعمال الآخر في الخارج –خاصة وأنّ الأنثروبولوجيين حوّلوا اهتمامهم إلى السياقات الحضرية، تتعلق بعض الاختلافات التي نراها بين هاتين الطريقتين بتاريخهما. اعتبرت الأنثروبولوجيا الألسنية واحدة من مجالات الأنثروبولوجيا الأربعة عندما عرّف (بواس) وزملاؤه رسميا هذا الحقل العلمي بداية القرن العشرين...:(اهتدى الألسنيون الاجتماعيون إلى علم اللهجات المدنية في أواخر الخمسينات وبداية الستينات. وكبرت القرابة بين الحقلين بعض الشيء في الستينات والسبعينات بفضل عدّة أعمال سعت إلى دمجها، من بينها سعي ديل هايمز Dell Hymes إلى تعريف حقل متداخل يرتكز على دراسة استعمال اللغة...حيث يعمل هايمز بشكل جدّي لتشكيل حقل إثنوغرافيا التواصل من خلال إقامة صلات بين كلّ ما كان له وقتها صلة من قريب أو بعيد بالعلاقات القائمة بين اللغة والثقافة أو اللغة والمجتمع)"[1]؛ فاللغة ظاهرة اجتماعية وهي صادرة عن الإنسان، تنمو في سياق اجتماعي وثقافي معين، وبه تتطوّر، إنّ المجتمعات تؤثّر على نظام اللغات، واللغات تمثّل نظرة كلّ مجتمع إلى الوجود وإلى الواقع المحيط بهم، قبل تشكّل اللغة، تكون الدلالات والمعاني مجسّدة في أفكار، وكذلك الثقافة التي هي عبارة عن فكر، وبفعل التفاعل الاجتماعي تُصنع اللغة وتتجسّد وتحيا وتتطوّر، مثلما أنّ هناك نظام لغوي، هناك –كذلك– نظام اجتماعي وثقافي يؤثّر على صناعة النظام اللغوي من خلال تعبير المجتمع عمّا يكتسبه وينمّيه.

ز) جهود فرانز بواز

يعود الفضل –كذلك– لتطوّر اللسانيات بأمريكا إلى جهود الأنثروبولوجي واللغوي "فرانز بواز"، "ما جذب فرانز بواس (Frang boas 1858-1942) المولود في ألمانيا، وهو أحد مؤسسي الأنثروبولوجيا الأمريكية، نحو دراسة اللغة، هو تجربته مع الإسكيمو والهنود الكواكيوتليين Kwakiutl في الضفّة الشمالية الغربية. وقد قيل إنّه لا يمكن فهم ثقافة أخرى من دون أن يكون لنا مدخلٌ مباشر إلى لغتها. وليست هذه الحاجة الملحّة إلى دراسة اللغة عملية فقط، بل شدّد أن تكون نظرية، بسبب العلاقة الوطيدة بين الثقافة واللغة: (لقد استخدمنا في كلّ المواضيع التي تكلّمنا عنها حتّى الآن معرفتنا للغات الهنود كعامل أساسي لفهم عادات ومعتقدات الناس اللذين ندرسهم بشكل كامل، ولكن،

---

1 ألسندرو دورانتي، الأنثروبولوجيا الألسنية، تر: فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2013م، ص 39.

وفي كلّ هذه الحالات تخدمنا اللغة أوّلا بشكل عملي كوسيلة لفهم أوضح لظواهر إثنولوجية لا علاقة لها بالمسائل اللغوية...ولكن يبدو أنّ الدّراسة النظرية للغات الهنود لها نفس الأهمية لمعرفتنا العملية لها، وأنّ الأبحاث اللغوية البحتة هي جزأ لا يتجزّأ من الدّراسة المتكاملة لتفكير شعوب العالم، إذا اعتبرنا أنّ الإثنولوجيا هي العلم الذي يدرس الظواهر العقلية لحياة شعوب العالم عندها تكون لغة الإنسان، كإحدى أهم ظواهر الحياة العقلية، التي تنتمي بشكل طبيعي إلى حقل العمل الإثنولوجي). انتقل اهتمام بواس بالهنود منه إلى تلاميذه، وقد قام البعض منهم كإدوارد سابير Edward Sapir بأبحاث طوّرت الألسنية في ما يخص الهنود الأمريكيين ودراسة اللغة بشكل عام"[1]؛ فقد جاءت اللسانيات الأمريكية عبر جهود الأنثروبولوجيين الذين زاوجوا بين البحث الميداني والنّظري الفكري، لقد راح الباحثون الأمريكيون يتّخذون لغات ولهجات السكّان الأمريكيين الأصليين كقاعدة لفهم النظام اللغوي، فكلّ العادات والتقاليد والسلوكات الاجتماعية لها دخلٌ في اللغة وتشكّلها، فاللغة تحيا في كنف المجتمع والثقافة حمولةٌ فكرية تتشكّل عبر اللغة...، فقد كان اللسانيون الأمريكيين سياقيين ينفتحون على التاريخ وعلى السياق الذي تنمو فيه اللغة، وقد شكّلوا علامة فارقة في التفكير اللساني. إن فرانز بواز معلّمٌ وأستاذٌ لسابير، والذي بدوره سابير حقق استقرارا للدرس اللغوي وهو الذي صبغ الدراسة اللسانية الأمريكية بالبعد الاجتماعي والأنثروبولوجي وقد نجح في ذلك إلى حدٍّ بعيد، لقد كانت النظرية اللسانية الأمريكية متّسمة بالثراء والحياة والحركية لأنها نظرية الواقعية والفعل المجتمعي.

يعتبر "فرانز بواز" الأب الروحي للبحث اللساني والأنثروبولوجي الأمريكي، فقد كانت أعماله:"...بدية حقيقية لمدرسة أميركية في اللسانيات، حقًّا إنّ اللغات الهندية قد دُرست قبل بوواز ولكنّ دراستها تمّت على منوال النموذج التقليدي الخاص بالنحو الهندي الأوربي، وهو نموذج لم يكن ملائما، بل إنّه أحيانا يوقع في اللبس، وعلى الرغم من أنّ بوواز قد تلقّى تدريبه في ظل المبادئ النحوية التقليدية فإنّه لم يجعل من ذلك قيدا يعوّق عمله التطبيقي. وحين تبيّن له من فوره أنّه يعالج مباني نحوية مخصوصة قد لا تتناسب مع طُرز النحو التقليدي، قدّم رأيه الجريء القائل بأنّ اللغات لها منطقها الداخلي الذي يأبى الانقياد لتطبيق أي مبدأ منهجي عام وأنّ المادة اللغوية نفسها هي التي تفرض طريقة ما من طرق التحليل تكون ملائمة لها. وتمسّك بوواز بهذا المبدأ، وأنجز دراسات

1 المرجع السابق، ص 102.

وصفية ناجحة لأنماط من اللغات كانت إلى ذلك الحين غير معروفة. ولا تزال هذه الدراسات الوصفية ذات قيمة معتبرة...واستطاع بوواز ما تميزت به مقاربته للغات الهندية من جدية ومنهجية أن يمتلك زمام تراث عظيم في اللسانيات الأمريكية من حيث العموم العلمي والعمل، ولا يزال هذا التراث حيا إلى اليوم. وكان بوواز أيضا أوّل من جعل الوصف الآني غاية الاهتمام الأساسية، ولا يزال اللسانيون الأمريكيون يضفون على هذا النوع من الوصف هذه المكانة الجوهرية. وكان إصدار بوواز لكتابه العظيم: (الدليل إلى اللغات الهندية الأمريكية)...واحدا من بين أعظم إنجازاته. وليس هذا الكتاب جمعا لمادّة مصنّفة ومنسوقة على نحو يثير الإعجاب فحسب...بل كان كذلك اسهاما أساسيا في المشكلة النظرية المتصلة بتأسيس منهج وصفي"[1]؛ فقد رأى بواز أن لكل لغة منطقها وأنساقها وتشكيلاتها ولم ينجر مع دعاة المنهج اللساني التاريخي والمقارن، بل طبّق المنهج التجريبي الوصفي العلمي، فاستطاع بذلك أن يؤسس للسانيات الأمريكية الحديثة والمعاصرة، إنّ جرأة بواز وسبقه ومواصفات فكره أهّلته لأن يكون أب اللسانيات الأمريكية، كما أنّه كان أنثروبولوجيا حاول التقرّب من ثقافة القبائل ولهجاتهم وسلوكاتهم الاجتماعية التي تؤثّر على اللغة وهذه طريقة لم تكن معهودة، فاعتبر أن هناك عوامل مختلفة تؤثّر على الجانب الشكلي للغة، لأنّ الشكل يتغيّر تبعا للعادات اللغوية والمظاهر اليومية، إنّ اللغة نابعة من الإنسان، والإنسان كلٌّ مركّبٌ من عناصر عديدة متداخلة ومتأثّرة ببعضها البعض، لأنّ الإنسان كائن تفاعلي مع محيط وتاريخ وثقافات وطبائع ترتبط بالواقع اليومي والذي يؤثّر لا محالة على اللغة.

ح) اللغة والفكر عند وورف وسابير

يرى أحد روّاد اللسانيات الأمريكية وهو "بنيامين وورف" Benjamin lee whorf أنّ البنية اللغوية هي التي تحدد الفكر، فوورف صاحب نظرية، وهو:" تلميذ سابير، الذي طلع من دراسته للغات الهنود الحمر في أمريكا ومقارنتها باللغات الأوروبية الحديثة، بالنظرية أو الفرضية المعروفة باسمه Whorf Hypothesis والتي تقول أنّ البنية اللغوية أو التركيب اللغوي هو الذي يحدد الفكر ويسيطر عليه سيطرة كاملة، ولذلك فإنّ معرفة البشر بهذا العالم وتجاربهم فيه ونظرتهم إليه ومواقفهم منه تختلف باختلاف اللغات التي يتكلّمونها. أي أنّ العالم كما يراه البعض يختلف عن العالم كما يراه

---

1 مليكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص: 273، 274، 275.

البعض الآخر، إذا كان كل من المجموعتين أو المجتمعين يتكلّم لغة مختلفة. وقد أعطى صاحب النظرية أمثلة كثيرة من بنية الأفعال بشكل خاص في إحدى لغات الهنود الحمر المسمّاة (Hopi) وقارنها ببنية الفعل في اللغة الإنكليزية، واستنتج من ذلك أنّ نظرة كل من المجتمعين إلى الزمن مثلا تختلف اختلافا جذريا عن المجتمع الآخر. ولعلّ أوضح مثل أعطاه وورف تأييدا لأثر اللغة على الفكر هو ما أتى به من واقع عمله كمسؤول في إحدى شركات التّأمين أثناء بحثه عن أسباب الحرائق، فقد لاحظ أنّ العمّال كانوا يعاملون براميل النفط الخالية بدون مبالاة، بينما كانوا حريصين جدًّا في تعاملهم مع البراميل المليئة بالنفط...وفي رأي وورف أنّ الذنب في هذه الحالة يقع على كلمة (خالية)، أي على اللغة التي أثّرت في طريقة تفكير العمّال فجعلتهم يتصرّفون بذلك الشّكل. وهذه النظرية في النهاية تعني أنّه لا وجود للفكر بدون اللغة"[1]؛ وهذا ما نشاهده اليوم عبر أفراد المجتمع الواحد، فالذي يتعامل دائما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية نجد أنّ تفكيره يختلف عمّن يتكلّم ويتعامل دائما باللغة العربية، ولهذا نجد مثلا الفرونكوفونيين أو المعرّبين...فاللغة قبل أن تكون شكلا هي كذلك زخم فكري، فكل لغة لها نظرة خاصّة للعالم والوجود، وموقف محدد من الأشياء من حولنا، لأنّ لكل لغة تاريخ وسياق معيّن وأحداث ومواقف ثقافية واجتماعية ارتبطت بها، كما أنّ نظرة كلّ لغة تجاه الزمن والألوان والتذكير والتّأنيث يختلف من لغة إلى أخرى، وهذه نظرية تنسب لوورف تتميّز بتفرّد طرحه وهي إضافة لجهد أستاذه سابير، الذي أعطى أهمية للمجتمعات والثقافات والعوامل والسياقات التي تعيش فيها اللغات، والأخذ بعين الاعتبار كلّ المظاهر التاريخية والحياتية وأصول الشّعوب وتطوّراتها.

وعلى شاكلة وورف يتفق سابير مع نظرته في اللغة حاملةً للفكر ومسيطرة على فكر المجتمع، فـ:" قد كان سابير أحد روّاد علم اللغة الحديث في القرن الحالي، من أكبر لأنصار هذه النظرية القائلة بأنّ اللغة هي التي تجعل مجتمعا ما يتصرّف ويفكّر بالطريقة التي يتصرّف ويفكّر فيها، وأنّ ذلك المجتمع لا يستطيع رؤية العالم إلاّ من خلال لغته، وأنّ تلك اللغة بمفرداتها وتراكيب جملها محدودة في ذاتها، ومحددة لنظرة المجتمع الذي يتكلّمها للعالم وللحياة، فهو مثلا يقوله بكلّ وضوح في إحدى المناسبات: (البشر لا يعيشون في العالم العادي وحده، ولا يعيشون فقط في عالم

---

1 نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1978م، ص: 177، 178.

النشاط الاجتماعي بالمفهوم العادي، ولكنّهم في الواقع واقعون تحت رحمة تلك اللغة المعيّنة التي اتّخذوها وسيلة للتفاهم في مجتمعهم. حقيقة الأمر أنّ العالم الحقيقيّ مبني الأنواع لحدٍّ كبير على العادات اللغوية لمجتمع معيّن، كما أنّه ليس في العالم لغتان تتشابهان تشابها كبيرا الأنواع درجة اعتبارهما تمثّلان نفس الواقع الاجتماعي، أن العوالم التي تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم مختلفة، لا مجرّد عالم واحد تسمّيه أسماء مختلفة). وقد كان بنيامين وورف، كما رأينا، من نفس رأي أستاذه سابير، بل إنّه كان أوضح منه في إيمانه بنفس النظرية التي تقول بأنّ الإنسان أسير لغته، فهو يستنتج بعد دراسة مطوّلة للموضوع:(أنّ اللغة ليست مجرّد وسيلة للتعبير عن الأفكار، بل أنّها هي نفسها التي تشكّل تلك الأفكار، فنحن نقسّم الطبيعة –أو العالم– بموجب الخطوط التي ترسمها لنا لغاتنا اليومية)"[1]؛ ولهذا يبادر أصحاب اللغات الأجنبية الغربية على تعزيز نفوذها نظير ما تحمله من أفكار تروّج في نطاقات جغرافية واسعة لما لها من تبعات اقتصادية وثقافية هامّة أو ما يسمّى اليوم باللغات الحيّة كالإنجليزية والفرنسية والإسبانية الواسعة الانتشار في أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، حيث أنّ دور اللغات الغربية كبير على المناطق المنتشرة فيها، حيث تصير تلك المناطق تابعة فكريا لدول غربية وما ينجرّ عليه من نمو اقتصادي لصالح اللغات المسيطِرة وتحقيق عدّة مكاسب، فاللغة حاملةٌ للفكر ولكيان المجتمعات فهي ناقلة للخصائص والميزات والصفات، وكلّ فكرة جديدة لن تجد وعاءً لها أفضل من اللغة المصاحبة لتلك الأفكار، وإذا أردنا معرفة أي مجتمع وفكره علينا أن نقترب من لغته ونحلّلها في أعماقها.

يرى وورف أن اللغة تؤثّر على المنطق والتفكير،"...فقد ذهب إلى حدّ القول: بأنّه لو كان رجال الهوبي (Hopi) هم الذين طوّروا النظريات العلمية الموجودة اليوم، لكانت الفيزياء الحديثة مغايرة تماما لما هي عليه الآن ومنسجمة مع نفسها ومقنعة في آن واحد، وانطلاقا من هذا فقد رأى بأنّ فيزياء نيوتن...قد حصل عليها جاهزة من لغته. ولكنّ النظر إلى الفيزياء التي طوّرها نيوتن على أنّها معالجة دقيقة للفطرة السليمة تعدّ وهما مستخلصا من المرحلة الطّويلة التي احتاجها قبول فيزياء نيوتن على أنّها حقيقة، وبهذا يرى وورف أنّ للمنطق صلة وثيقة باللغة، حيث إنّه لو كان أرسطو من الهوبي، لكان المنطق الحديث والفيزياء الحديثة قد تطوّر تطوّرا مختلفا تماما. وهذا يعني أنّ الأشكال

1 المرجع السابق، ص: 180، 181.

اللغوية قد أثّرت في تطوّر المنطق والفيزياء وغيرها من العلوم الأخرى؛ وأنّ اللغة –لا محالة– تفرض على أبنائها طريقة خاصة في التفكير. وفي الحقيقة إنّ هذه الفرضية كما قال ليونز (Lyonz) تجمع بين الحتمية اللغوية (أي أنّ اللغة تحدد الفكر) والنسبية اللغوية (أي أنّ هناك اختلافا كبيرا في بنية اللغات). ويبدو أنّه على الرغم من وجود جانب من الصحّة في هذه الفرضية، فإنّ هناك تأثيرا متبادلا بين لغة المجتمع ونمط تفكيره. ولئن كانت هذه الفرضية تعلّمنا أن لا نحترم الأفكار المسبقة، وأن لا نصدّق كلّ ما يقدّم إلينا على أساس أنّه علمي، وأن ننظر إلى الأشياء بعين النقد، إلاّ أنّه لا ينبغي أن نتجاهل مقدرة الفرد على الخلق والإبداع، وتحطيم كلّ القيود اللغوية التي قد تفرض عليه شعوريا ولا شعوريا"[1]؛ فاللغة حاملة للفكر والمنطق، وهي مؤثّرة على المجتمع، فهناك رؤى نطرحها اليوم قد لا تكون مقبولة لو طُرحت منذ قرون من الزمان، لأنّ اللغة هيّأت هذه القابلية، هناك أفكار مقبولة اليوم، قد كانت مرفوضة بالأمس، إنّ الفكر يتطوّر، ولكنّ هذا الفكر لن يتطوّر إلاّ باللغة، لأن اللغة حاملةٌ لنسق فكري مرّ عبر أجيال وحمل أحداث التّاريخ وقناعاته ومستخلصاته، إنّ وورف يحاول ربط الفكر باللغة، ويرى فضل اللغة على الفكر، إنّ المجتمع يطمئنّ للغة وللمنطق الذي تحمله، وهناك تراكم فكري عبر الزمن يسمح للإنسان بقبول أشياء ورفض أشياء أخرى. قد تكون أقوال قالها أرسطو يوما كانت جديدة ومفاجئة، وقد تكون نفس الأفكار اليوم بديهية وعادية وسطحية، وهذا الانطباع تحمله اللغة وتعبّر عنه، وهذا دليل لفضل اللغة على الفكر وقدرة اللغة على التّأثير وعلى توجيه المنطق وقابليته أو رفضه، إنّ كلّ الشعوب لها رصيد من المعرفة والفكر، ولن تجد أفضل وسيلة من الخزّان اللغوي حتّى وإن وجدت وسائط فكرية أخرى كالرسم والألوان والنقوش، فاللغة لها كلمتها في الفكر بكل أنواعه.

ط) عدم التلازم بين اللغة والمحيط عند سابير

يرى سابير أنّه ليس هناك تلازم بين اللغة والمحيط، يقول في ذلك:" عدم التلازم بين اللغة والمحيط...تؤيّده الفروق الصرفية التركيبية التي تشاهد في لغات متجاورة تستعملها مجتمعات تتقلّب في أجواء طبيعية وبشرية تكاد تكون واحدة. فقبائل الشّينوك والسّاليس بكولومبيا السفلى وبالسّاحل الغربي من ولاية واشنطن تكوّن وحدة ثقافية في محيط طبيعي متجانس، لكن بين لغتيهما فروقا

---

1 أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص 191.

صرفية تركيبية كبيرة. ففي اللغة السّاليشية تكرار كثير تراعى فيه أغراض نحوية، بينما يقلّ التكرار في الشّينوكية، وإن وُجد فلا يخدم أيّ غرض نحوي. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد الشّينوكية تفرّق بين المذكّر والمؤنّث فيما يتعلّق بالجنس وتخصص له نطاقا محكما لا تحيد عنه لا في الأسماء ولا في الأفعال، بينما يقتصر التّفريق بين المذكّر والمؤنّث في سالشيّة السّاحل على الضّمائر ويزول بالتّمام في لهجاتها الدّاخلية، وبين الميدويّة واليانويّة، وكلتاهما من لغات الوسط الشّرقي بكاليفورنيا، اختلاف جذري عجيب في النّظام الصرفي، فالميدوية مفعمة بالسّوابق الصرفية، ومن التكرار، لكنها تتميّز عن الميدوية بطريقتين: أولاهما أنّ حديث النساء غير حديث الرّجال من الوجهة اللغوية الصّورية وثانيتهما أنّ فيها المئات من اللواحق الصّرفية، ومن هذه اللواحق ما يحمل طابع الفعل إلى درجة تسمح بعدّه فعلا حقيقيا زيدَ في آخر الكلمة...وفي العالم القديم تختلف المجرية عن اللغات الهندية الأوروبية المجاورة لها بخلوّها ممّا يميز الذكر من المؤنّث، وباعتمادهما مبدأ التناغم الحركي لدلالات نحوية مع أنّ هذا التناغم كان في أصله سمة صوتية"[1]؛ فلكلّ مجتمع لغة يعبّر بها، ولكلّ فئات مجتمعية طريقة ما في التعبير، حيث لا تؤثّر البيئة على النظام اللغوي، يمكن لمجتمعين يعيشان نفس الظروف البيئية، لكنّ اللغة تختلف، ما يعني أنّ نظرة العالم لكلّ مجتمع ليس بالضرورة هي نفسها في مجتمع آخر، لقد كان سابير شديد الاهتمام باللهجات واللغات الأمريكية ومقارنتها ليكشف أنّ نظام التذكير والتأنيث والضمائر والأسماء يختلف باختلاف المجتمعات، إنّ اللغة تتسم بالنظام والتعدد، إنّ المنطق يتميّز به كلّ البشر ولكنّ المنطق يولّد التنوع والثراء، وليس بالضرورة ان تكون اللغات متفقة ولها نفس نمط التفكير.

المبحث الثاني: المدرسة التوزيعية Distribution

أ) من هو بلومفيلد مؤسس التوزيعية؟

يعتبر ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield أحد روّاد اللسانيات السلوكية في الولات المتّحدة الأمريكية، فقد وُلد:"...في ولاية شيكاجو في الولايات المتّحدة الأمريكية عام 1887م، وكان والده سيجموند بلومفيلد قد هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية كطفل عام 1868...وانتقل ليونارد

---

1 إدوارد سابير، اللغة والمحيط، تر: مختار نويوات، مجلة اللغة العربية، المجلد 05، العدد الأول، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص: 23، 24.

مع أسرته إلى منطقة ويسكونسين ودرس المرحلة الابتدائية فيها، إلاّ أنّه عاد إلى شيكاجو لإتمام دراسته الثانوية وقد كان عمّه موريس بلومفيلد أحد اللغويين المعروفين في جامعة جونز هوبكينز...التحق بلومفيلد بكلية هارفارد عام 1903 وتخرّج عام 1906 حيث حصل على درجة الباكالوريوس، ومن ثمّ بدأ التّحضير للدراسات العليا في جامعة ويسكونسن–ماديسون، حيث درس فقه اللغة الألمانية وبعض اللغات الجرمانية، بالإضافة إلى دراسة بعض اللغات الهندوأوربية. وقد توجّه اهتمام بلومفيلد إلى دراسة اللغويات بعد أن أقنعه أحد أعضاء الهيئة التدريسية إدوارد بروكوش، بذلك حصل على درجة الدكتوراه من جامعة شيكاجو عام 1909 وكان بحثه حول اللغويات التاريخية للغات الألمانية...ليونارد بلومفيلد إنج...أحد علماء اللغة الولايات المتّحدة الأمريكيين وأحد لأهم الرائدين في مجال اللغويات البنيوية...خلال الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين. من أعماله المهمة والتي أحدثت أثرا كبيرا في فهم اللغة وطبيعتها في ذلك الحين كتابه الذي أطلق عليه عنوان (اللغة) عام 1933، والذي قدّم وصفا شاملا للغويات البنيوية في أمريكا، وقد قدّم إسهامات كبيرة في ميدان اللغويات التاريخية للغات الهندوأوربية وفي وصف العديد من اللغات في جنوب شرق آسيا والمحيط الهادي، بالإضافة إلى وصف العديد من لغات السكّان الأصليين في الولايات المتحدة الأمريكية. وكان منهجه اللغوي متميّزا بالتركيز على الأسس العلمية للغويات، والانطلاق من المذهب السلوكي في عدد من أعماله الأخيرة بالإضافة إلى الاهتمام بالإجراءات البنيوية في تحليل المعلومات اللغوية"[1]؛ فقد كان بلومفيلد باحثا موسوعيا استطاع الإلمام بالكثير من اللغات المحلية والأوروبية وتفقّه في اللغات ودرس تاريخها، وكان متأثّرا بالمنهج السلوكي في علم النفس عن طريق أستاذه واطسن، استطاع بلومفيلد أن يخطّ لنفسه طريقة للتعليم والجمع بين عدّة تيّارات، بحيث لم تتوفّر هذه الخاصية لنظرائه، وقد كان يتّسم بالتدقيق العلمي الوصفي المنهجي البنيوي، وبذلك أسس المدرسة السلوكية في اللسانيات بالإفادة من جهود اللسانيين من قبله وكذلك القدرة على طرح أفكار جديدة استلهمها من علم النفس السّلوكي الأمريكي.

ب) التوجه النفسي أو اللاذهني لبلومفيلد

---

1 "ليونارد بلومفيلد، نشأته ودراسته"، موقع شبكة بحوث وتقارير ومعلومات. تاريخ الاقتباس: 2021/10/20م. الموقع:www.arbyy.com

تسمّى سلوكية بلومفيلد ورفقائه باللاذهنية، وهي:" تنطلق من علم النفس السّلوكي، وهو اتجاه كانت له الغلبة /1920/ في الولايات المتحدة، ففعل الكلام ليس سوى سلوك لنموذج خاص (وتبعا لحكاية بلومفيلد المبتدعة، فإنّ اللغة تمثّل إمكانية بالنسبة إلى جيل التي رأت تفاحة، فعوضا عن قطعها، سألت جاك أن يفعل ذلك). وعلى هذا، فإنّ المدرسة السلوكية ترى أنّ السلوك الإنساني كلّه قابل للتفسير (متوقّع)، وذلك انطلاقا من الأوضاع التي يظهر فيها، وبشكل مستقل عن أيّ عامل (داخلي)، ولقد استنتج بلومفيلد من هذا أنّ الكلام، هو أيضا، يجب أن تفسّره أوضاع ظهوره الخارجية، ولقد سمّى هذه الحالة (الحالة الآلية)، وجعلها مضادّة (للذهنية) والتي كان يراها غير قابلة للممارسة، لأنّ الكلام، كما يرى، يجب أن يفسّر بوصفه أثرا لأفكار (المقاصد، المعتقدات، المشاعر)، الذات المتكلّمة. ولمّا كان ذلك كذلك، فإنّ بلومفيلد يطلب قبل أن نفسّر الكلام تفسيرا آليا –وهو أمر لن يتحقق فورا– أن نكتفي آنيا بوصفه، (ومن هنا)، فقد نشأ مذهب وصفي يتعارض مع المذهب التاريخي للقواعديين الجدد، كما يتعارض مع المذهب الوظيفي). ولكي لا تلوي هذا الوصف الأحكام المسبقة التي تجعل التفسير اللاحق مستحيلا، فإنّه يطلب أن ينجز خارج أي نظر ذهني، وأن يتجنّب الإشارة إلى معنى الكلام المنطوق"[1]؛ ولهذا فإنّ بلومفيلد كان يرى أنّ الكلام يتم عبر (مثير/استجابة) بطريقة آلية مثله مثل السلوكات الأخرى التي تصدر عن الإنسان، كان يبعد كلّ العناصر الذهنية الخفية، حيث كان يعترف فقط بالجانب المحسوس القابل للتجريب على المركّب الكلامي بعيدا عن التفسير والمعنى الخفي المستعصي عن الإمساك، لقد نقل بلومفيلد أفكاره من علم النفس السلوكي، والتي تأثّر بدوره بتطبيقات البيولوجيا ومن تجارب بافلوف على الحيوان (المثير/الاستجابة)، فقد كان بنيويا، ويرى أنّ لكل شيء في هذا الوجود يحدث بطريقة آلية بتأثير العناصر بعضها ببعض بالتقاط الإرساليات، ولهذا فقد لاقت نظريته قبولا بسبب واقعيتها وقربها من الواقع ومن العين المجرّدة.

ج) جهود بلومفيلد اللسانية

لقد كان بلومفيلد عالما منهجيا وصاحب نظرية لغوية لاقت قبولا كبيرا على مرّ عقود من الزمن، فقد اتّضحت:"...معالم اللسانيات البنيوية بمعناها الحقيقي وفي صورتها المنهجية الدقيقة، إلاّ مع بلومفيلد في كتابه (اللغة) الصادر سنة 1933. ويمثّل كتاب اللغة بداية عهد جديد في اللسانيات

1 أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص: 57، 58.

الأمريكية خصوصا والعالمية عموما، وظلّت مبادئه متحكّمة في جلّ الأوساط اللسانية الأميركية إلى عهد قريب. ويتميّز هذا الكتاب الذي ما يزال مفيدا إلى اليوم بوصفه مقدّمة ممتازة للسانيات الحديثة. باستقلاله التّام عن إطار الأنثروبولوجيا الذي طبع اللسانيات الوصفية الأميركية في العقود الأولى من القرن العشرين. وقد ابتعد بلومفيلد عن الأنثروبولوجيا ليتبنّى مبادئ علم النفس، بعكس كتابه الأول سنة 1914 (مدخل إلى دراسة اللغة)...الذي حظي بشهرة كبيرة في ذلك الوقت، وقد أشار بلومفيلد في مقدمة كتاب اللغة إلى أنّه كان متأثّرا في المدخل إلى دراسة اللغة بعلم النفس الذي وضعه ويليام فونت Willem wundt(1832–1920)، يقول بلومفيلد: (أقمت في 1914 جزءً من هذا العرض على النسق السيكولوجي لفونت). وكان فونت وهو مؤسس علم النفس التجريبي، يرى أنّ مهمّة علم النفس اللغوي تتمثّل في إبراز الظواهر النفسية التي تظهر في التغيّرات والتطوّرات التاريخية للسان. وحاول فونت أن يشرح الاتجاهات المتعددة للتطوّر اللغوي عند الإنسان في ضوء تحليله لنفسية الشعوب المتكلّمة بهذا اللسان أو ذاك. يأخذ بلومفيلد مكانته المتميّزة في اللسانيات انطلاقا من تأكيده القوي مثل سوسير على ضرورة دراسة اللغة بمعزل عن الظواهر المصاحبة لها، وباستقلال عن باقي المعارف اللغوية والعلوم الأخرى"[1]؛ فاللسانيات البنيوية التي وضع أساسها سوسير تحمّل بلومفيلد جزءً من أنساقها، فقد استطاع أن يؤسس لسانيات تدرس اللغة من ذاتها ولذاتها، وأضاف تأثيرات علم النفس التجريبي على عمله، لقد أخذ بلومفيلد منحى مغايرا للسانيات الأمريكية التي طغت عليها النزعة الأنثروبولوجية، فقد أراد للسانيات أن تكون علما كبقية العلوم التجريبية الدقيقة الأخرى، كعلم الأحياء مثلا، فقد أسّس مدرسة بخصائص جديدة لم تكن سائدة قبله وبتأثّر من عالم النفس ويليام فونت، الذي أراد على شاكلة سوسير أن تكون اللسانيات جزءً من علم النفس العام، إنّ أفكار بلومفيلد لاقت رواجا كبيرا خاصة وأنّها قابلة للتطبيق الميداني خاصّة حقل تعليم اللغات الذي تأثّر كثيرا بالمنهج السلوكي منذ بلومفيلد إلى عصرنا الحالي، إنّ بلومفيلد يصرّ على استبعاد المعنى والأشياء المجرّدة لأنّها مستعصية عن الحساب والتجربة والحس، وقد قال بذلك بهدف تثبيت أركان النظرية اللسانية بأسس تجريبية دقيقة.

---

1 مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، ص: 376، 377.

لجهود بلومفيلد مكانة عالية في الدرس اللساني الأمريكي، فـ:"...قد هيمن تفسير بلومفيلد لعلم اللغة على مواقف ووجهات نظر معظم الجهود في علم اللغة الأمريكي أثناء الثلاثينيات والأربعينيات، بسبب مكانة كتابه (اللغة) بوصفه كتابا دراسيا للطلاب (رغم أنّه أكثر كثيرا من هذا) ولتركيزه المتمعّن على المنهجية. وكثير من الأعمال التي أنجزت في تلك السنوات قد نظر إليها العلماء الذين قاموا بها بوصفها توضيحا أو تطويرا لبعض الأفكار أو المقترحات التي عبّر عنها بلومفيلد، وقد أصبحت الفترة التالية تُعرف الآن بوصفها عهد بلومفيلد، رغم أنّه لا يمكن القول إنّ كلّ خاصية من خصائصه يمكن إرجاعها مباشرة لتصوّرات بلومفيلد. وكلّ عالم عبارة عن فرد، كما أنّ (المدارس) و (العهود) عبارة عن تجريدات تقوم بحكم مشكوك فيه على الأعمال والعاملين الذين ينضوون تحت هذه المدارس والعهود، ولكن علم اللغة البلومفيلدي -بنظرة كهذه- يمكن تناوله بشكل معقول باعتباره وحدة، ولأنّ علم اللغة في تلك الفترة (33، 1957) بوصفه فرعا معرفيا مستقلا بذاته، قد أصبح راسخا على نحو أقوى، وممثلا في جامعات الولايات المتحدة على نحو أوسع من أي مكان آخر، فإنّ تأثيرات بلومفيلد كانت تلمس عند المجتمع العلمي برمته في الدراسات اللغوية"[1]؛ فلا ينبغي التقليل من شأن المدرسة السلوكية في اللسانيات التي أسسها بلومفيلد، فقد كانت توجها منهجيا، وكان الدرس اللساني حينها غير مستقر ويبحث عن منهج صارم للسان البشري، إنّ بلومفيلد استطاع أن يفرض منطقه البنيوي الصارم الذي لا يعترف إلاّ بما هو ملاحظ وخاضع للقياس والحساب والاستقراء العلمي، فقد وجد في السلوكية النفسية إدراج اللغة ضمن نطاق العلوم النفسية التي تشبه صنيع العينات البيولوجية الكمية، كما أنّ الباحثين أخذوا يبتعدون عن الدراسات الأنثروبولوجية التي لم تعد تستهويهم، وقد وجدوا في السلوكية نزعة علمية جادّة، كما أنّ بلومفيلد كان ملمًّا بشكل جيّد لأفكار سوسير وأغلب المدارس اللسانية السابقة، فتمكّن من التحليل النحوي وراح يبعد المعنى والحدس والاستبطان من الدراسة وفسّر المعنى تفسيرا حافزيا، وقال بأن دراسة المعنى مؤجّلة لأنّ الإمكانيات المتاحة غير كافية، فقد أراد طريقة مغايرة للدراسة تختلف عن سابقيه وإيجاد وسيلة لإخراج الدرس اللغوي من الدوّامة التي صاحبته منذ عقود، وكان هدفه استقرار اللسانيات لتحقيق فوائد ميدانية.

د) اللغة ظاهرة سلوكية

---

1 ر.هـ.روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ص: 303، 304.

يرى بلومفيلد أنّ اللغة ظاهرة بيولوجية سلوكية مثل الظّواهر البيولوجية الأخرى؛" إنّ النّظر في اللغة ودراستها على أساس من (المذهب السّلوكي) في علم النّفس ظهر وازدهر في الولايات المتّحدة الأمريكية بوجه خاص، وخير ممثّل لهذا الاتجاه في الدّراسات اللّغوية هو بلومفيلد. تأثّر بلومفيلد، وأكثر من تبعه من اللغويين في اتجاهه السّلوكي، بسلوكية ألبرت بول فايس كما عرضها في كتابه (الأساس النظري للسلوك الإنساني). يرى السّلوكيون أنّ (السّلوك الإنساني) يوصف أكمل وصف وأدقّه عن طريق اعتبار الظّواهر الفسيولوجية وغيرها من الظّواهر المادية التي تصحب سلوك الأفراد. ولا يتأتّى عندهم دراسة (الظّواهر الإنسانية) دراسة علمية إلاّ بهذا الطّريق. ولمّا كانت اللغة (ظاهرة إنسانية) فيصدق على دراستها ما يصدق على دراسة سائر (الظّواهر الإنسانية). ولذلك فينبغي عند السّلوكيين شرح مصطلحات مثل (الإرادة) و (الشّعور) و (الفكرة) و (الانفعال) إلخ، وترجمتها إلى لغة تتضمّن حالة فسيولوجية أو (فيزيقية) أو كلتيهما. ولذلك نجد في دراسات بلومفيلد اللغوية مصطلحات مثل Respense (=الاستجابة) و Substitute (الاستجابة البدلية) و Substitute stimulus (المثير البدلي). وعندما تحدّث بلومفيلد عن معنى الكلمة ومعنى (النطق) عامّة قال إنّه ينبغي أن يعرّف عن طريق أحداث عملية أي فسيولوجية أو فيزيقية مرتبطة بها، فمعنى (الجوع) مثلا في قولي (أنا جائع) يُعرف بالتقلّص العضلي وما يحدث في المعدّة من إفرازات، وما قد يصحب ذلك من عطش...إلخ ويرى بلومفيلد أنّ (الأفكار) و (التصورّات) كذلك ينبغي أن يعاد وصفها بألفاظ فيزيقية..."[1]؛ فبلومفيلد ومن معه من السّلوكيين يعيدون كلّ ما يشعر به الإنسان من جوع أو برد أو ألم أو رغبة في التحدّث إلى الجانب الآلي النفسي بعيدا عن العقل والذهن، فالإنسان حسبهم يتكلّم لمّا يُستثار ويبدي ردّة فعل نتيجة مثير محدد، عندما يجوع يتكلّم وعندما يحس بالألم أو الفرح الحماس يتكلّم، فهناك مثيرات خارجية تأتي للإنسان من حوله تجعله يتكلّم، إنّ أفكار بول فايس النفسية أثّرت على بلومفيلد وأسقطها على اللغة، وتعتبر هذه الطريقة حادثة جديدة في حقل اللسانيات، فهو يجمع ما بين علم النفس السلوكي ومبادئ اللسانيات البنيوية بطريقة مقنعة إلى حدٍّ بعيد، وقد ضمّت عدّة باحثين نظرا لواقعيتها وقابليتها للقياس والملاحظة والتجريب.

---

1 محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ص: 304، 305.

لقد أثّر المذهب السلوكي على علماء عدّة، ليس في أمريكا فقط، بل وحتّى في أوربا؛" تأثّر علماء اللغة في هذه الحقبة بالمذهب السلوكي في علم النفس الذي كان سائدا في أوربا وأمريكا، والذي كان يهتم بدراسة ظاهر السّلوك، فقد كان على أساس أنّه مكوّن من عادات مختلفة، تتكوّن عن طريق المؤثّر والاستجابة والثّواب وتتكرر حتّى يثبت الصّحيح أو المتعارف عليه منها فيتّخذه الإنسان في حياته. وقد أجرى كثير من هؤلاء العلماء مثل ثورندايك في أمريكا وبافلوف في روسيا التجارب العديدة على الحيوانات لإثبات نظرياتهم، وقد ظهر تأثّر علماء اللغة بهذا المذهب بأنّهم أخذوا ينظرون إلى اللغة على أنّها مجموعة من العادات كغيرها من العادات السلوكية الأخرى، وبناء على ذلك فإن من الممكن دراسة تركيبها من ناحية وتعليمها من ناحية أخرى على هذا الأساس، وكان من أشهر من قال بذلك العالم الشهير سكينر (Skinner) الذي كان يعمل في جامعة هارفارد حتّى توفي قبل سنوات. وقد كان لهذا الأثر بمذهب علم النفس السلوكي نتيجتان:

أولاهما: النّظر إلى ظاهر اللغة ودراسة ذلك الظاهر فقط مثلها في ذلك مثل أيّة عادة سلوكية أخرى.

وثانيتهما: إهمال دراسة المعنى، على اعتبار أنّه ليس مظهرا خارجيا يمكن النّظر فيه بالمنهج العلمي الموضوعي المستخدم في العلوم الطبيعية. لقد أهمل اللغويون هذا الجانب الأساسي من جوانب اللغة وبذلك جرّدوها من أهم مظهر من مظاهرها وأهمّ هدف من أهدافها"[1]؛ فقد كان السلوكيون يرون في اللغة كظاهرة بيولوجية كبقية الظواهر الأخرى، تمّ تمرير فكرة المثير والاستجابة من التجارب على الحيوانات وتعميمها على الإنسان واعتبار أنّ الطفل يكتسب اللغة بهذه الكيفية عن طريق التّعزيز، إنّ المنهج الصّارم الذي اتّخذه السّلوكيون يقصي كلّ العناصر التي من الصعب الإمساك بها وقياسها كالمعنى والوظيفة، وساعد انتشار رأي السلوكيين في ذلك الوقت إيمان المجتمع العلمي بالتجارب المخبرية تحت طائلة النظر والحساب، فعلوم الطّبيعة أثّرت على علم النفس، والذي بدوره أثّر على حقل اللغة، ويظهر تأثير السلوكية بشكل جلي في حقل تعليمية اللغات إبّان الحرب العالمية الثانية بالانفتاح على مناطق جغرافية جديدة تطلّب ذلك إيجاد المناهج الناجعة لاكتساب اللغات بطريقة سريعة وعلمية، وكان للمنهج السلوكي اللغوي الطرح الذي احتاجه معلّموا اللغات بطريقة تجريبية علمية.

---

1 نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص: 89، 90.

لبلومفيلد منهج خاص يختصّ به، فقد:"شدّد...تشديدا لا مثيل له في تاريخ اللسانيات على جعل دراسة اللغة دراسة علمية ومستقلة، وذهب إلى أنّ اللسانيات شعبة من شعب علم النفس السلوكي Behavioristic psychology، وقد كان متأثّرا في منحاه هذا بواطسون Watson، مؤسس المذهب السلوكي في علم النفس، وحاول على هذا الأساس تفسير (الحدث الكلامي) Speech act من منظور سلوكي بحت رافضا بذلك الدراسة العقلية التي كان هو بالذات من أنصارها، أطلق بلومفيلد على المنهج الذي اتبعه في دراسة اللغة اسم المنهج المادي Mentenalistic أو الآلي Meechanistic، وهو الذي يفسّر السلوك البشري في حدود المثير Stimulus والاستجابة Response على غرار ما تقوم به العلوم الفيزيائية والكيمياوية في اعتمادها في تفسير الظواهر على تتابعات العلّة والأثر Cause-and-effect-sequences، وقد رفض المذهب الذهني...الذي كان متداولا في عصره على أساس أنّه لا يعتمد في تفسير الظواهر على المبادئ العلمية التجريبية. بل يرجع السلوك البشري إلى عوامل غير فيزيائية كالروح والعقل والإرادة التي تعدّ غير قابلة للملاحظة والوصف العلميين، ولذلك لا يمكن التنبؤ بالسلوك البشري بما في ذلك الحدث الكلامي. وكما وضّح ذلك ليونز Lyons فإن بلومفيلد قد فهم مصطلح علمي، وهذا تأويل شائع في عصره على أنّه يتضمن الرفض التام للمعطيات Data غير القابلة للملاحظة المباشرة والقياس المادي"[1]؛ فبعدما رأى بلومفيلد عدم اقتناعه بالمذهب العقلي في اللسانيات لأنه يخوض –حسبه– في قضايا بعيدة عن الحس والتجربة والتكهّن أحيانا، أراد بعدها أن يقتصر تصوره على المنهج المادي السلوكي، الذي يرجع كل ما يصدر عن الإنسان على أنّه تصرف سلوكي كالغذاء والكلام والحركة وكل أنشطة الإنسان، فالجهود التي قام بها بافلوف على الحيوانات والتي انتقلت بعدها إلى ميدان علم النفس، ثم اللغة التي تعتبر حسبهم فرعا عن علم النفس، فاللساني في نظرهم يتكئ على النظر المباشر بعيدا عن أيّة خلفية أو مرجعية في التحليل، ولا يُخرج النتائج إلاّ على ما يراه ويحصيه ويقارنه ببعضه البعض حتّى تظهر الإطّرادات الواضحة، فقد كان بلومفيلد عقليا في بدايات أبحاثه مع سابير و וورف ولكنه لم يقتنع بالمذهب العقلي ورأى في السلوكية التي انشدّ إليها الحل في تسجيل نظرية لغوية متكاملة.

هـ) طريقة دراسة اللغة في التوزيعية

---

1 أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص: 193، 194.

إنّ طريقة التوزيعيين في دراسة اللغة تعتمد على جمع المدوّنة اللغوية ثمّ دراسة توزيع الوحدات في الجملة،" إنّ دراسة اللغة تعني إذن وقبل كلّ شيء، جمع مجموع منوّع قدر الإمكان من العبارات التي قالها فعلا مستعملوا هذه اللغة في عصر معيّن (إنّ هذا المجموع= المدونة). ثمّ نحاول من غير أن نتساءل عن معنى العبارات، أن نظهر اضطرادات في المدونة، وذلك لكي نعطي للوصف سمة منسّقة ومنظّمة، وأيضا لكي نتجنّب أن يكون جردا فقط. وبما إنّ اللجوء إلى الوظيفة والمعنى مستبعد، فإنّ المفهوم الوحيد الذي يستخدم قاعدة لهذا البحث عن الاطّراد، إنّما يمثّل في السياق الخطّي أو المحيط...ولقد استخلصت التوزيعية...منهجا لتفكيك عبارات المدونة. وإن هذا المنهج هو منهج التحليل إلى المكوّنات المباشرة (Constituants immédiats) (وللاختصار نقول c.i–م م). ويعزو هذا التحليل إلى الجملة بناءً تراتبيا، وهو بهذا المعنى يفكك العبارة أوّلا إلى مقاطع تسمّى مكوناتها المباشرة (ci–م م)، ثمّ إنّه يفرع كل واحد من هذه الـ (م م) إلى مقاطع تحتية تمثّل مجموع (م م) لهذا (م م)، وهكذا دواليك إلى أن يصل إلى الوحدات الدنيا"[1]؛ فالمحلل التوزيعي يجمع العبارات المستعملة صوتا ثمّ يدونها كتابة، ثمّ يقوم بعملية التحليل التركيبي ليكشف ويبين الأجزاء المتساوية في طريقة الرصف والتجاور، لكي يخرج قوانين اللغة كما جاءت، وهو في نفس الوقت يبتعد عن المعنى والوظيفة، إنّ هدف التّوزيعية الكشف عن ماهية التركيب اللغوي وعن القوانين التي تحكمه دراسة وصفية تحليلية موضوعية في لحظة آنية هي وقت الدراسة ومجالها، ولقد مكّنت هذه الطريقة من معرفة كيفية ترابط الوحدات الدنيا لتحقيق الإفادة ولإنشاء الكلام والخطاب، لقد فتح التوزيعيون آفاقا كبيرة بهذه الطريقة ومنحوا فضاءً خلّاقا للجهود اللسانية التي جاءت بعدهم لمعرفة المعادلات الرياضية المنظمة التي تحكم تراكيب اللغة، فهو بهذا الصنيع يشبه ما يقوم به النحو التقليدي مع الاختلاف أنّ النحو التقليدي معياري والتوزيعية متجددة وآنية ولا تجعل من القوانين المستخلصة قاعدة مطّردة، فهي للكشف اللفظي التي قد يتغيّر بمرور الزمن.

إنّ التوزيعية:"...بحسب تعبير ويلز R.S.wells (أحد أقطابها) جملة من التعليمات والتوصيات العملية المتعلقة بالوصف اللساني والكيفية التي ينبغي أن يتم بها اكتشاف نحو لسان ما. إنّها منهجية اختيارية لجمع المعطيات اللغوية ومعالجتها بدقّة وموضوعية. واختيار الوصفية الأميركية هذه

1 أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص: 58، 59.

الإجراءات العملية نابع من التجربة التي قام بها اللسانيون الأميركيون، لاسيما الأنثروبولوجيون منهم، في وصف ألسن الهنود الحمر منذ بوعاز، حيث يتحوّل اللساني الواصف إلى مفكّك لرموز لسان غير معروف: فالمعطى اللغوي الوحيد المتوفّر لدى اللساني الواصف هو المتن اللغوي الخاضع للتحليل والذي تُستقرأ منه كلّ المعلومات حول اللسان المدروس. فلا يقدّم المتن المعروض للبحث أي معلومات مباشرة عن جوانبه الصّواتية والصّرافية والتركيبية والدلالية. هذه المواجهة المباشرة بين اللساني والواقع اللغوي هي التي أملت اللجوء إلى الإجراءات المتنوعة التي استعملها اللسانيون الأميريكيون في وصفهم المباشر لألسن غالبا ما كانوا يجهلون كلّ شيء عن بنياتها المتعددة أو لا يعرفون عنها في أحسن الأحوال إلاّ النزر القليل. والمقاربة التوزيعية توكيد للفرضية الأساس في اللسانيات البنيوية والمتمثّلة في أنّه بالإمكان دراسة لسان معيّن دراسة داخلية، باعتباره بنية قائمة الذات ومستقلّة عن العوامل الخارجية لا يُحتاج في فكّ رموزها إلى معطيات خارجة عنها. فليس بين يدي اللساني الواصف سوى متتالية من العمليات التي يتعيّن اتّباعها في التعامل موضوعيا مع لسان معيّن، وهو ما أطلق عليه إجراء الاكتشاف Procédure de découverte "[1]؛ فالتوزيعي يكتشف أجزاء التركيب ولا يستعين بأي عناصر خارجة عنه، إنّ للسانيين الأميركيين قبل المدرسة السلوكية خبرة كبيرة للتعامل مع التراكيب، فقد فحصوا اللغات المنتشرة بأمريكا من دون معرفة أي شيء عن تاريخ وسياقات هذه اللغات، إنّ التوزيعي يكشف عن أجزاء كبيرة من التراكيب التي تكون غير مكررة بهدف إجراء مقارنة ومعرفة أوجه التشابه لمعرفة القانون العام الذي يكون تحت مظلّته عدد كبير من السياقات التركيبية وبالتالي اختصار الاستعمالات اللامتناهية في قواعد وتحصيل النظرية اللسانية فيما بعد، إنّ التوزيعي ينطلق من النظر والفحص ويركّز على ما يقع عليه نظره أو سمعه، ولا يلتفت للعناصر الأخرى كالزمان والمكان والمعاني والفكر، إنّ السلوكية هي الغطاء الفكري للسانيات التوزيعية، وهي الإجراء التحليلي للمدرسة السلوكية، وقد تدعّمت السلوكية فيما بعد بالتحويل الذي يفسّر التراكيب الجديدة التي تتولّد من التراكيب الأصلية، لقد وافق السلوكيون بنيوية سوسير وأضافوا عليها معلومات وطرائق جديدة.

---

1 مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، ص 391.

لقد حلّل بلومفيلد التركيب برؤيته الخاصة، حيث حاول أن يستفيد من سابقيه ويضيف أفكار جديدة، لقد"...ركّز اللغويون الأمريكيون عنايتهم على التحليل الشكلي عن طريق عمليات ومفاهيم وصفية بشكل موضوعي، وهو ما كان بلومفيلد قد ألحّ على وجوبه. وكانت الوحدتان الأساسيتان للوصف هما الفونيم الذي وسّع فيما بعد ليشمل كلّ الظواهر الصوتية المميزة...والمرفيم، وهو الوحدة الصغرى للتركيب القواعدي، وقد فسّر التمييز بين الصوت الكلامي والفونيم بشكل عام بوصفه تمييزا بين عضو وفئة (Class)، واستعمل الفون (الصوت) Phone والألوفون (المغاير) Allophone ليشير لأصوات الكلام، أمّا التحليل القواعدي فقد حذا حذو المنهج الفنلجي القائم فعلا، مستعملا المرف Morph والألومرف Allomorph (المغاير الصرفي) والمرفيم (الوحدة الصرفية) بنفس الطريقة. ويمكن أن يقال بإنصاف إنّ الفنلجيا أصبحت هي القدوة في عهد بلومفيلد بقدر ما يتعلق الأمر بالنظرية الوصفية والمنهجية. وأقوى دافع لمراجعة النظرية والمفاهيم المرتبطة بها قد جاء إلى حد بعيد من التقدّم في طريقة الملاحظة الصوتية والتحليل الفنلجي...رغم أنّ بلومفيلد كرّس بعض العناية للتعريف الشكلي للكلمة بوصفها وحدة قواعدية، إلاّ أنّ اللغويين الأمريكيين المتأخّرين لم يعطوه كبير وزن في الوصف القواعدي، وقد وصف تركيب الجملة عن طريق تحليل المكونات المباشرة...التي تتصل فيه المرفيمات بعضها ببعض في شكل أشجار تمثل الترتيب والتركيب الصاعد..."[1]؛ فقد حاول بلومفيلد إعطاء توصيف دقيق للتركيب بإثبات أنّ التركيب مثل الشجرة له جذع أصل وفروع، وقد فتحت تحليلاته آفاق جديدة لفهم البنية اللغوية ومعرفة النظرية اللسانية، وهو ما كان يسعى إليه اللسانيون قبله، لقد استفاد من النحو التقليدي القائم على الاستقراء، وقام بإعطاء مصطلحات جديدة أوجدتها ضرورة تسمية العناصر المختلفة المكتشفة، إنّ فكرة تفكيك التركيب ثمّ إعادة تجميعه يمكننا من فهم طبيعة التركيب والعناصر التي تصنعه لتمييزها وجعلها في مجموعات لها نفس الخصائص وبالتالي إيجاد تجريدات تنضوي تحتها العديد من العناصر، وقد كانت أعمال بلومفيلد بمثابة تمهيد للمدرسة التوليدية التحويلية التي ستفيد منها في بعض الجوانب، مما فتح أمام النظرية اللسانية أهداف مستقبلية هامة بهدف المرور إلى البحوث التطبيقية القائمة على النظريات اللسانية الناجحة.

---

1 ر.هـ.روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ص: 304، 305.

و) التحويل في التوزيعية

أضاف "زيلغ هاريس" Zelling Harris إلى التوزيعية مفهوم التحويل، بحيث:" يتلقّى مشروع المدرسة التوزيعية (وصف عناصر اللغة عن طريق إمكاناتها التأليفية)، بدءً من عام 1968م، شكلا آخر من أشكال التحقق، وذلك بفضل مفهوم التحويل الذي أقامه هاريس، وقد طبّقه غروس نسقيا على الفرنسية مع تعديلات عديدة، وإنّه لطالما ظهر عصيا على الممارسة أن نكشف مباشرة عن ورود عنصر من العناصر في كلّ جمل اللغة، فقد وجب أن نحدد، بداية، مجموعة من الجمل الأوّلية، وكذلك جملها المعقّدة التي اشتقّتها التّحويلات (استبدال ضمير باسم، والانتقال من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول، وتضمين جملة في جملة أخرى عن طريق التبعية)، وأن نحدد أنماط التّحويل المقبولة بما إنّها تشكّل عددا صغيرا ومجددا شكليا عن طريق البنية النّحوية لجمل الإنطلاق والوصول. فنحن لكي نصف كلمة، ندرس أوّلا سلوكها في هذه الجمل البسيطة، فنحن نحدد الأفعال تبعا لحاجتها أو لعدم حاجتها إلى مفعول به ((عبر) بالتعارض مع (كلم))، وتبعا لأن يكون هذا المفعول قادرا أو غير قادر على الدّخول بوساطة حرف الجر ((فكّر) بالتعارض مع (عرف)) إلى آخره، ويضاف إلى هذه المعايير التي يعدّ بعضها تقليدا ، ولكنّ جماعة هاريس يحددونها بدقّة عظمى، معايير أخرى مرتبطة بإمكانات تحويل الجمل، حيث تتدخّل الكلمة المدروسة. وهكذا فإنّ مفاعيل لفعلين (كلّم) أو (فكّر) لا تتحوّل من الاسم إلى الضّمير بالطريقة نفسها: (لوك يفكّر بريتا) تصبح (لوك يفكّر بها) بينما (لوك يتكلّم مع ريتا) تصبح (لوك يكلّمها). ولقد أظهر كروس، إذ ولّف عددا محدودا من المعايير من هذا النمط، بأنّه لا يوجد فعلان في الفرنسية لهما نفس السّلوك التوزيعي، وأنّنا نستطيع في الوقت نفسه أن نجمعهما في طبقات لها تمثلاّت دالة في السّلوك"[1]؛ ففكرة التحويل التي أضافها هاريس ساعدت التوزيعيين الذين سبقوه، في محاولة فهم قوانين التّوزيع اللغوي، فلم يستطع التّوزيعيون وصف الإطّراد اللغوي، بسبب ظهور عناصر جديدة في كلّ مرّة، فحاول هاريس إضافة فكرة التّحويل لتحقيق المزيد من الوصف والتحكّم في الإطّراد والانضباط والثّبات اللغوي، وكانت دراستهم في ذلك عن طريق الممارسة والتّطبيق الميداني على اللغة، فاللغات تتحول تراكيبها، وتتولّد من بعضها البعض بقوانين محددة علينا كشفها حتّى نتعمّق أكثر في النّظام اللغوي،

---

1 أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص: 61، 62.

إنّ جهود التّوزيعيين كانت عن طريق إضافة آليات دراسية لغوية جديدة، وذلك لنجاعة وأهمية فكرة التّوزيع والذي صار فيما بعد توزيعيا تحويليا، بحيث تمّ القضاء على المزيد من المشاكل التي كانت تعترض التوزيعيين، وقد كانت أفكارهم مهادا لمزيد من التّطوير في النظرية اللسانية التي تستحق قفزات هامّة فيما بعد، وقد كانوا بنيويين أخّروا من دراسة المعنى لأغراض منهجية وللتحكّم أكثر في وصف وتحليل البنى التركيبية.

التوزيعية تسعى لتحليل الجمل بالرغم من تعقيدها في بعض اللغات، ولكنّها تبتكر فكرة التحويل لمعالجة المشاكل التي تعترضها،" ومهما يكن تعقّد طرق اللسانيات التوزيعية وقد يكون شديدا، فإنّها تقوم أصلا على بعض الأفكار البسيطة ويعسر ألاّ نسلك مسلك التوزيعيين أمام لغة مجهولة، لكنّ حدود التوزيعية بيّنة للعيان فيكفي أن نحاول تقطيع نص فرنسي إلى كلماته المباشرة (المورفيمات) لنتيقّن من البداية أنّ الأمر ليس يسير التناول والإشارة المطّردة إلى السواحلية لما تتميّز به من بنية واضحة، وأمّا في الفرنسية فالوحدات أكثر تشابكا، ففي حالات (الدلالات المنقطعة) (مثل: Ne...Pas) أو (المزج) (مثل: Au, à le) حسب عبارات أ. مارتيني يمكن أن نطمع في تشييد منهاجية متكافئة، غير أنّ مفهوم المورفيم نفسه (أو العلامة) يكون مشكّلا كما يشهد بذلك في المستوى الكتابي التقطيع التقليدي في شكل كلم وهي وحدات بلا إطار نظري وهو تحدٍّ مستمر للسانيين. ونرى أنّ التوزيعيين أنفسهم قد وضعوا حدودا لنظريتهم أوسعوا إلى مدّ نطاقها، واقترح هاريس بالخصوص مفهوما للتوزيع (للإطّرادات) يسمح بربط الجمل بعضها ببعض، وهو ما أدّى إلى لفظ التحويل (وقد درسه تشومسكي وغيره، وهو من تلاميذ هاريس)، ومن هذا المنطلق أمكن تجاوز نطاق الجملة إلى (تحليل الخطاب)"[1]؛ فالتوزيعية مرّت بمراحل في عملية تحليل الجمل وطوّرت من منظومتها المعرفية لأنّها في البداية كانت تطبّق فقط على اللغات واللهجات الأمريكية، ولكنّها اصطدمت بصعوبة تطبيق تقنياتها على اللغات الأوروبية وبالخصوص الفرنسية، فسعى روّادها لمزيد من الابتكار للقيام بعملية التحليل، فجاء هاريس الذي ابتكر فكرة التحويل التي ذللت الصعاب وراحت تطوّر من منظومة التوزيعيين التحليلية، حتّى تشومسكي الذي جاء بمدرسة فيما بعد استفاد من أستاذه هاريس. إنّ محاولة إيجاد نظرية لسانية تلائم كلّ اللغات ليس بالأمر اليسير، فهناك لغات أكثر تعقيدا

---

1 كاترين فوك، بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ص 42.

من اللغات التي قد ننجح في التطبيق عليها، وقد تعترضنا مشاكل مستقبلية. فنقول أن التوزيعية أضافت كثيرا لنظرية اللغة واستطاعت التأثير على شريحة كبيرة من العلماء بالرغم من الانتقادات الموجّهة إليها خاصّة فكرة السلوك والآلية التي تساوي بين الإنسان والآلة والحيوان، فقد خطّ بلومفيلد وتلاميذه طريقا مبتكرا في التحليل اللساني وتعتبر السلوكية أوّل خطوة لتجاوز تحليل الجمل إلى تحليل الخطاب بفكرة التحويل.

ز) المعنى عند بلومفيلد

تكلّم بلومفيلد عن الحوافز وهي التي تقابل الدلالة وتصنع الكلام عنده؛" يصبح الخطأ من صلب الموضوع عندما يمس علم الدلالة، فالحديث عن معاني الكلام المنطوق لا يعني أن نتحدّث عمّا تبديه التعابير المنطوقة من قوالب، بل عمّا تتركه من تأثيرات في عقول سامعيها، وعندما كتب ليونارد بلومفيلد عن المعنى ارتكب الخطأ السلوكي علانية وبكلّ وضوح، فبالنسبة لبلومفيلد نرى أنّ تحليل المعنى في لغة ما يتمثّل في إظهار الحوافز التي تستدعي تعابيرا أو أقوالا معينة لتكون بمثابة استجابات من جهة، وإظهار الاستجابات السلوكية التي تستدعيها حوافز كلامية معينة من جهة أخرى، والقضية الأنموذجية في مناقشة بلومفيلد لعلم الدلالة تتناول قصّة تقول إنّ منظر تفّاحة في حديقة مسوّرة (بلومفيلد Bloomfield، 1933، ص 22 وما بعدها)، وما يصاحب هذا المنظر من إفرازات معدّية، يحمل فتاة اسمها جيل على مخاطبة رفيقها جاك وهو أكثر منها رشاقة، وتقول له أرجوك أن تحضر لي تلك التفاحة. والحافز الذي ينتج عن سماع هذا القول بدوره يجعل جاك يتسلّق السور ويحضر لها التفاحة. والمشكلة واضحة في هذه القضية، فالناس ينطقون كلمة مثل تفاحة دون أن يكون التفاح موجودا أمامهم...ويدعو بلومفيلد الحالة الأخيرة بالكلام المعزول Displaced Speech، ويحاول أن يوفق بين تفسيره وتفسير قضية جاك وجيل فيقول: (إنّ نطق المتكلّم بكلمة تفّاحة دون حافز من رؤية تفاحة في تلك اللحظة هو بالنسبة إلى المتكلّم استجابة لحوافز داخلية غامضة من النوع الذي ارتبط في وقت ما خلال حياته الماضية بحافز تفاحة...)"[1]؛ فبلومفيلد يرى أنّ الدلالات تقابل الحوافز السلوكية وهي التي تدعونا للنطق والكلام، فهو يفسّر الدافعية للتواصل هي تلك الأنشطة الكيميائية التي تحدث نتيجة استثارة سلوك معيّن، وتصير هذه السلوك محفوظة ومكررة

---

1 جفري سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، ص: 63، 64.

في عمليات مشابهة، فالإنسان –حسبه– يتعلّم بالمثيرات التي تصنع الحوافز ثمّ تحقيق استجابات تؤدّي بنا إلى تكرار هذه الظاهرة، إنّ اللسانيين يخطّؤون بلومفيلد في ربط الدلالة بالحوافز، بل يقولون إنّ الدلالة هي الأثر الذي يحصل بعد الكلام على السامع وأثناء عملية الاستعمال، إنّ بلومفيلد لا يتعمّق كثيرا في الحوافز التي يراها كونها الدلالة الحقيقية، بل يعالجها سطحيا كسلوكات معتادة يومية، ويرى أنّها مؤجّلة من حيث دراستها وأنّ المعطيات الحالية لا تستطيع الكشف عن طبيعة هذه الحوافز، بينما نرى أن الجانب الذي أبدع فيه بلومفيلد هو دراسة التراكيب دراسة وصفية تحليلية باللغة ومن اللغة بعيدا عن كل التكهّنات، وهو الذي أكسب نظرية السلوكيين التأثير والقبول الواسع النطاق حتّى من العقلانيين أمثال تشومسكي.

ح) الانتقادات الموجهة للسلوكية

إنّ السلوكيين يرون في الإنسان كآلة مبرمجة لتحقيق استجابات نتيجة مثيرات معينة،" وحسب واطسون وأتباعه فإنّ علماء النفس ليسوا في حاجة إلى التّسليم بوجود العقل أو أي شيء آخر لا يمكن ملاحظته لتفسير تلك النشاطات والقدرات الخاصة بالكائنات البشرية التي وصفها علماء النفس التقليديون بأنّها ذهنية، أي إنّ سلوك أي كائن حي، ابتداءً من الأميبيا، وانتهاءً بالكائن البشري لا يجب أن يوصف أو يفسّر إلاّ في حدود استجابته لمثيرات نابعة من البيئة، والمسلّم به هنا هو أنّ تعلّم الكائن الحي لهذه الاستجابات يمكن تفسيره بطريقة مرضية بوساطة القوانين الفيزيائية والكيمياوية المألوفة، وذلك على غرار ما يفعله الباحث لتفسير كيف أنّ الترموستات Thermostat تتعلم الاستجابة لتغيرات درجة الحرارة وتجعل الفرن يشتعل أو يتوقف أحيانا. ومما لا شكّ فيه أنّ هناك مبالغة كبيرة من قبل بلومفيلد في تركيزه على الجانب الآلي وتشبيه السلوك البشري بسلوك الأميبيا أو القطط والقردة والكلاب التي تُجرى عليها التجارب في المتاهات والمخابر. فالإنسان يتميّز عن باقي الحيوانات بالعقل الذي يعدّ ملكة مبدعة خلاّقة لا توجد في غير جنس البشر. ولكنّ بلومفيلد تجاهل الجانب الخلاّق في اللغة الذي كان قد أكّد عليه ديكارت وهمبولت من قبل ثمّ تشومسكي فيما بعد، وهذا ما فتح عليه باب الانتقادات من قبل العقلانيين"[1]؛ فقد كانت السلوكية البنيوية المادية في صراع مع العقلانيين الذين أرادوا استرجاع أهمية العمليات الذهنية الداخلية في التحليل اللغوي، وإعادة

---

1 أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص 194.

الاعتبار للحدس والاستنباط العقليين، ولكن السلوكيين ذهبوا عكس ذلك وأرادوا أن يصبغوا الفعل الإنساني بما في ذلك اللغة بصبغة آلية ويصير الإنسان والحيوان على حدٍّ سواء من غير إبداعية أو جانب خلّاق للعقل البشري، وإنّ النزعة السلوكية قد خطّت لنفسها طريقا ضمن عدّة علوم ردحا من الزمن، وصار العلماء السلوكيون لا يلتفتون إلاّ للجانب المادي الملموس القابل للفرضيات والتجريب والملاحظة والنتيجة مهما كان حجم الانتقادات أو حجم الإقصاء، فقد تمّ استبعاد العقل والمعنى، بالرغم من الأهمية التي تكتسيهم، فقد كانوا جريئين في طرحهم واستطاعوا أن يفرضوا منطقهم على الكثير من الأوساط العلمية ولاقوا هجمات شرسة من طرف العقلانيين.

يرى الباحثون أنّ أفكار بلومفيلد كانت لها إيجابيات مثلما كان لها سلبيات، إلاّ أنّ سلبيتها لم تضر النظرية اللسانية عنده؛"...ففي علم الأصوات الوظيفي وعلم الصرف وعلم النحو كان الجانب الجيّد من السلوكية هو المطلوب. ففي كلّ هذه المجالات كان لسلوكية بلومفيلد تأثير حميد جعل اللسانيين يطهّرون تحليلاتهم من الاعتماد على الحدس أو الحكم الشعبية المتوارثة، وبذلك أصبحت التحليلات –الصحيح منها والخاطئ– علمية أصلية بعد أن كانت خليطا غير مشروع من أقوال خاضعة لاختبار الملاحظة مقابل الأقوال التي كانت تؤخذ على الثقة. أمّا في علم الدلالة فإنّ تفكير بلومفيلد جعله يستنتج أنّ وصف المعنى كان عمليا ضربا من المستحيل، وأنّه سيبقى كذلك متى تحقق المعرفة الإنسانية مستوى يفوق بكثير مستواها الحالي (بلومفيلد، 1933، ص140)، فالعلم على سبيل المثال، يجب أن يكشف –الحوافز الداخلية الغامضة– التي تعتري المرء قبل أن يتفوّه بجملة مثل: سمعت أنّ أسعار التفّاح ستهبط في السنة القادمة. لقد أخطأ بلومفيلد في افتراضه أنّ مثل هذه الحوافز موجودة بالفعل. فحتّى من يؤمن بالجانب الجيّد من السّلوكية لابدّ له من الاعتراف بأنّ المعلومات الملاحظة غير كافية عمليا لبناء نماذج من التفاعل بين الكلام الملاحظ والعقل غير الملاحظ. وتشير الاعتبارات الفلسفية...إلى أنّ وصف المعنى وصفا علميا يعدّ ضربا من المستحيل، لا من الناحية العملية فحسب، بل ومن حيث المبدأ أيضا. فالنتيجة التي توصّل إليها بلومفيلد والتي تقول إن التحليل الدلالي مستحيل كانت نتيجة سليمة رغم اعوجاج تفكيره"[1]؛ فبلومفيلد لم ينفِ المعنى نفيا تامّا ولكنّه رآه صعب المنال والمراس، لقد خلّص بلومفيد البحث اللغوي من الافتراضات المسبقة ومن التكهّنات،

---

1 جفري سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، ص: 64، 65.

وصار لديه منهجا علميا صارما منبنٍ على الملاحظة المباشرة، حتّى وأنّ نظرته كانت تظهر وكأنّها مجحفة إلاّ أنّها طوّرت البحث اللساني وفتحت آفاقا جديدة خاصّة فكرة التحويل التي أضافها هاريس لتحليل بلومفيلد والتي مهّدت لظهور التوليدية التحويلية، إنّ بلومفيلد وجد في فكرة السلوكية البيولوجية فرصة لجعل الدرس اللساني مثله مثل العلوم الصلبة الأخرى كالبيولوجيا التي تعتمد على العينة والحساب والملاحظة ثمّ التفسير وتقديم النتائج، لقد وجد الباحثون في السلوكية التوزيعية رغبتهم الجادّة في التحكّم في الدرس اللساني العلمي الذي يخدم أهداف ميدانية تعليمية ومعلوماتية، رأى بلومفيلد أنّ الإمساك بالمعنى صعب وفق المعطيات الحالية وأنّه غير خاضع للقياس والحساب والتدقيق، وسمّى المعنى الحوافز القبلية التي تُثار لإحداث النطق والكلام.

المبحث الثالث: المدرسة التوليدية التحويلية

أ) من هو تشومسكي؟

وُلد أفرام نوم تشومسكي في فيلادلفيا عام 1928م في عائلة يهودية روسية الأصل، كان والده من كبار علماء اللغة العربية، ويخبرنا تشومسكي أن خبرته خلال طفولته في تصحيح أصول أحد كتب والده عن العبرية كانت من المؤشرات التي أوحت له بأن اللسانيات قد تلائم ميوله الفكرية. وعندما أصبح تشومسكي طالبا في جامعة بنسلفانيا تحول إلى دراسة اللسانيات من خلال تطابق آرائه السياسية الراديكالية مع آراء زيليغ هاريس Zellig harris الذي كان أستاذا هناك، كما درس الرياضيات والفلسفة، وفي بداية الخمسينيات حصل على منحة لمتابعة أبحاثه في الفلسفة في جامعة هارفرد حيث كان يعمل رومان ياكبسون Roman jakobson، وفي عام 1955م أسندت إليه وظيفة مدرّس في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا M I T المجاور، حيث بقي منذ ذلك الحين[1]. فتشومسكي ساعدته تنوع دراساته المبكرة في اللغة السامية العبرية وكذلك المنطق والفلسفة، كما أنه كان في بداية نضج الدرس اللساني المعاصر يتابع أخباره ويلاحظ تطوراته، فقد تلقى تكوينا خاصا يخالف كل الآراء المطروحة في ذلك العصر أي الخمسينيات، إلى أن نضجت أفكاره وكان في بؤرة النشاط العلمي اللغوي بأمريكا وفي أعرق جامعاتها، ما جعله يكوّن قاعدة صلبة لطرح النظرية التوليدية التحويلية، بالرغم من مخالفتها للكثير من الأعراف العلمية اللغوية السائدة آنذاك.

---

1 جفري سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، ص 135.

تشومسكي:"...أستاذ لسانيات فخري في قسم اللسانيات والفلسفة في معهد ماساشتوستس للتكنولوجيا والتي عمل بها لأكثر من 50 عام...ويوصف تشومسكي أيضا بأنه أب علم اللسانيات الحديث، كما يعدّ شخصية رئيسية في الفلسفة التحليلية، أثّر عمله على مجالات عديدة كعلوم الحاسب والرياضيات وعلم النفس، كما يعود إليه تأسيس نظرية النحو التوليدي، والتي كثيرا ما تعتبر أهم إسهام في مجال اللسانيات النظرية في القرن العشرين، ويعود إليه كذلك فضل تأسيس ما أصبح يعرف ب (تراتُب تشومسكي) ونظرية النحو الكلي ونظرية تشومسكي (شوتز نبرقر) ...ويعود إليه كذلك فضل تأسيس ما أصبح يعرف بتراتب تشومسكي، وهي تصنيف للغات الشكلية حسب قدرتها التوليدية...وحسب فهرس مراجع الفنون والإنسانيات بين 1980 و 1992 ذُكر اسم تشومسكي كمرجع أكثر من أي شخص آخر حي، وكثامن شخص على الإطلاق....قدّم محاضرات جون لوك في جامعة أكسفورد (1969م)، محاضرة برتراند راسل التذكارية في جامعة كامبريدج (1972م)...وحصل تشومسكي على عدد من الدرجات الفخرية من جامعات حول العالم...وهو عضو في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، والأكاديمية الوطنية للعلوم والجمعية الأمريكية للفلسفة. وإضافة إلى ذلك فهو عضو لجمعيات مهنية ودراسية في الولايات المتحدة والخارج، كما حصل على جائزة الإسهام العلمي المتميز في منظمة علم النفس الأمريكي وجائزة كيوتو في العلوم الأساسية ووسام هيلموهلتز وجائزة دورثي ألديرج لصانع السلام و وسام بنجامين فرانكلين للحاسب الآلي والعلوم المعرفية في عام 1999 وغيرها"[1]؛ فتشومسكي عاصر نهضة وتطور الدرس اللساني من بداياته إلى نضوجه وتشعب مجالاته، وقد كان بالبحث الموسوعي، التراث الفلسفي، النحو القديم، التاريخ، علم النفس، علم الحاسب، واللسانيات...ولهذا استطاع أن ينجح في مقاربة اللغة مقاربة قلّ نظيرها، لأن اللغة نسق حامل لكل أنظمة الفكر، ولا يمكن لأي علم أن ينهض من دون اللغة، وبفضل جهود تشومسكي تطور الذكاء الاصطناعي واللسانيات الحاسوبية، وصارت الروبوتات تتكلم وتفهم أنظمة اللغة، وذلك للنجاح الذي حققه النحو التوليدي وجعله كخوارزميات رياضية، إن تشومسكي كان له حضور قوي أكثر من اللسانيين الرواد الآخرين، ولهذا كُتب لمدرسته الشيوع والتطور على مدى عقود

---

1 نعوم تشومسكي، الموقع الإلكتروني: www.noor-book.com

من الزمن إلى فترتنا الحالية، وبالرغم من كل الانتقادات التي وجهت للتوليدية إلاّ أنها حققت –ولا تزال– تطورات ملحوظة يوما بعد يوم.

ب) تأسيس تشومسكي للمدرسة التوليدية التحويلية

بعد وصول التوزيعية إلى مراحل متقدّمة من التحليل التحويلي التوزيعي بريادة هاريس، كان نوام تشومسكي متأثّرا بها، وقام بالبناء عليها لإنشاء المدرسة التوليدية التحويلية،" لقد دفع (ز.س.هاريس) المذهب التوزيعي إلى نتائجه القصوى، وكان الأمريكي نعوم تشومسكي تلميذا له. فبعد أن اهتم هو نفسه بتشكيل المفاهيم التوزيعية الأساسية (بالمعنى المنطقي–الرياضي لهذا المصطلح)، اقترح متصوّرا جديدا للسانيات سمّاه التوليدي، وهو متصور يناقض الدوغمائيات التوزيعية. ولقد هيمن ما بين 1960 و 1985 على البحث الأمريكي، وعلى جزء كبير من البحث الأوربي. تمنّى تشومسكي أن يحتفظ من المذهب التوزيعي بسمة الوضوح. فالتوزيعية كانت مذهبا واضحا، بمعنى أن الوصف اللغوي الذي انتهت إليه لا يستعمل وصفا أوّليا...أي مفهوما يستلزم فهمه معرفة مسبقة إمّا باللغة الموصوفة وإمّا باللسان عموما: إنّ مفهوم المحيط متصور أساس للمذهب التوزيعي (إنّ هذه الوحدة في تلك العبارة محاطة بهذه الوحدات و تلك)، وهو مفهوم يفهمه أي شخص، (والافتراض عيني) ليس له أي تجربة كلامية شخصية. ويكمن هنا، بالنسبة إلى تشومسكي تفوق التوزيعية على القواعد التقليدية، وكذلك أيضا على اللسانيات الوظيفية التي تلجأ إلى مفاهيم مثل التعالق (هذه الكلمة تُحمل على هذه الكلمة) أو التعارض (موضوع–خبر)، (تمثل هذه السلسلة من الكلمات الموضوع الذي نتحدث عنه، وتمثّل تلك الأخرى ما نريد أن نبلغه) الذي يعدّ فهمه جزءً أساسيا من ملكة اللسان، ونبقى نحن غير قادرين على استعماله لوصف هذه الملكة من غير الدخول في حلقة مفرغة"[1]؛ فالتوزيعية كان لها الفضل في تطوير الدرس اللساني المعاصر، وكان تشومسكي معجبا بجهود أستاذه هاريس، ولكنّ تشومسكي لم ترقه ما تمّ طرحه في السلوكية، فأخذ مفهوم التحويل وأضاف عنصر التوليد الذي يعتمد على المنطق، وأعاد الاعتبار للعمليات الذهنية الداخلية كالحدس والاستبطان، وإعطاء أهمية للمعنى الذي كان مؤجّلا في المدارس التي قبله، فقد أعطى آفاقا جديدة للتحليل اللساني الرياضي المنطقي الذي خدم مجال رقمنة اللغات وإدخالها للحواسيب والذكاء الاصطناعي،

---

1 أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص 74.

إن التوليديين يرفضون فكرة الآلية في اللغة والتفسير السلوكي، لأن الإنسان كائن عاقل لديه الذهن المودع بالدماغ الذي يحوي الذكاء والقواعد اللغوية التي تعمل بعمليات رياضية، والقواعد مودعة بالدماغ تتيح لكلّ إنسان فهم أي نظام لغوي مهما كان، فقط تحتاج إلى السماع ليتم تشغيلها.

يعتبر تشومسكي من بين ألف عالم صنعوا حضارة القرن العشرين:" فقد أتى تشومسكي بنظريات عن طبيعة اللغة ومنهج دراستها وطريقة اكتساب الطفل لها، لازالت حتى يومنا هذا مدار الدراسة والبحث والجدل والتجريب لدى معظم علماء اللغة في العالم الغربي بوجه خاص، وفي العالم بأسره بوجه عام. يقول تشومسكي أنّه قد تأثّر بآراء المدرسة الفلسفية العقلانية التي سادت القرن السابع عشر والتي كان الفيلسوف ديكارت من أشهر أعلامها: ولذلك فقد كانت رؤاه عن طبيعة اللغة عميقة للغاية ومناقضة تماما للسطحية التي تميزت بها آراء أسلافه المباشرين في النصف الأول من القرن الحالي، وأثارت ولازالت تثير من الجدل ما لم يعرف له مثيل في التاريخ من قبل. كان من أهم ما قام به تشومسكي في حياته العلمية المبكرة في علم اللغة هجومه الساحق المدمّر على آراء سكينر التي عرضها في كتابه (السلوك اللغوي)، ودحض جميع الأسس التي قامت عليها تلك الآراء والنظريات..."[1].

ج) المذهب الفلسفي للتوليدية واهتمامات الفلسفة وعلم النفس بهذا التوجه

تعتبر التوليدية مذهبا فلسفيا،"...فقد هيمنت هيمنة كبيرة، ليس على اللسانيات فحسب، بل على الفلسفة وعلم النفس وبعض العلوم الأخرى، وكما ذهب إلى ذلك تشومسكي نفسه، فإنها إحياء للقواعد الكلية Universal Grammar التي نادت بها مدرسة بور رويال سنة 1660م، والبحوث اللغوية التي ظهرت في القرن عشر الميلادي، والتي كان دي سوسير وبلومفيلد قد حكما بأنها فلسفية وغير علمية، ومع هذا فقد أشار ليونز إلى أنّ ثمّة فرقا بين تشومسكي وأسلافه، فبينما حاول هؤلاء استنباط الملامح الجوهرية للغة من المقولات الموجودة في المنطق (Logic) أو الواقع (Reality) والتي كانوا يعدونها كلية (Universal) أي عامة، وخاصة بجميع اللغات، والتي تعدّ في أصلها اعتباطية...أي أنها لا تخدم هدفا معينا، ولا يمكن استنباطها من أي شيء آخر نعرفه عن الكائنات البشرية أو عن العالم الذي تعيش فيه، ودليل تشومسكي في هذا الشأن أن الملكة اللغوية للإنسان

1 نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 92.

فطرية Innate ولا تخص إلاّ الجنس البشري"[1]؛ فتشومسكي قرأ التراث الأوربي بفلسفته ومنطقه وبحثه اللغوي، ثم راح ينفي المزاعم التي التصقت بالدرس اللساني، فقد كان يتحدّى حتّى سوسير منشئ اللسانيات الحديثة. إنّ آراء تشومسكي عمومية تنطلق من الإنسان في عمومه، وليس الاقتصار على لسان بعينه، فحسب رأيه فإن الملكة اللغوية موحّدة، وتجسيداتها متعددة بتعدد اللغات واللهجات، فالإنسان فطريا مزود بنظام لغوي يتيح له تعلم لغات عديدة دفعة واحدة، وبالتالي تلك الملكة اللغوية هي ما توحي بالقواعد الكلية أو النحو العالمي المستهدف دراسته.

لقد أغرت أفكار تشومسكي اللسانية الفلاسفة وعلماء النفس إلى الاهتمام باللسانيات،" إن انتقاد تشومسكي بأهمية دراسة الكليات في اللغة الإنسانية جعل الفلاسفة وعلماء النفس يولون اهتماما كبيرا في السنوات الأخيرة، الأمر الذي أكسب اللسانيات أهمية أكثر من ذي قبل. ويقول تشومسكي إن تفسير اشتراك جميع لغات العالم بقالب واحد (على افتراض أنها فعلا تشترك في هذا) يكمن في أن تركيب العقل البشري الموروث يجبره على استعمال لغات من هذا النوع بالتحديد، أمّا أسلاف تشومسكي الوصفيون فكانوا من التجريبيين الذين يعتقدون أن الناس يتعلمون ما يمكنهم تعلمه بفضل مرونة العقل البشري الهائلة وقدرته على استيعاب ما يصادفه من الخبرات مهما كان نوعها وعلى صنع القوالب لها. أما تشومسكي فهو عقلاني، ويسير على خطى أفلاطون Plato وديكارت Descartes، كما يؤمن بأن للعقل تركيبا في غاية الثبات والتعقيد يحدد شكل نشاطه إلى حدٍّ كبير. فما نقدر على تعلمه لا يعتمد على الحوافز التي نصطدم بها بمحض الصدفة بقدر ما يعتمد على ملاءمته شكل تلك الحوافز لإيقاظ قدراتنا الذهنية الكاملة. وليس لدى التجريبيين أي سبب مهما كان يجعلهم يتوقعون أن يكون نوع معين من اللغات طبيعيا أكثر من نوع آخر، ومن ناحية أخرى يرى تشومسكي أن اكتساب اللغة عند الطفل ليس سوى ملء تفاصيل بسيطة نسبيا في خطّة بنيوية مكتوبة سلفا. ويقول تشومسكي إنه لو حاول أحدنا أن يعلم الطفل لغة لا تتفق مع تلك الخطة لما تمكّن الطفل من إتقانها مهما كانت بسيطة، صحيح أن اللغات الافتراضية التي لا تمتلك ترتيبا هرميا تبدو دوما مصطنعة، حتّى أن الإنسان لا يستطيع أن يتخيل كيف يمكن أن تستعمل كنظم تواصل في الحياة

1 أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص: 206، 207.

العملية، غير أن هذه النقطة لا يمكنها أن تنال من قوة حجة تشومسكي"[1]؛ فقد كانت أفكار تشومسكي هامة على حقل تعلم اللغات، فبعد هيمنة السلوكية لوقت طويل على ساحة اكتساب وتعلم اللغة، جاءت التوليدية التحويلية لتحل محل السلوكية، وصار الطفل يتم التعامل معه على أساس أنه مزود بنظام لغوي يحتاج فقط المعلومات لتشغيله، إنه علينا أن نقوم بعرض التراكيب الأساسية أمام متعلمي اللغات، ثمّ نعرض كيفية توليد تراكيب جديدة من الأساسية بفعل التحويل. إن إمكانات العقل هائلة ويتم تعلم اللغة بسهولة لدى الأطفال والمتعلمين بفعل اشتغال الأنظمة الكلية المودعة في الذهن منذ الولادة. إن تشومسكي حاول أن يخلص اللسانيات من الخلل الذي سارت عليه، فبعد عقود من البحث لم يتم تقديم نظرية لسانية متكاملة، وجاءت أفكاره لتنقل اللغة إلى مساحات أكثر دقة وعمقا مكنت من الإفادة الحقيقية من اللسانيات النظرية ميدانيا وتطبيقيا ضمن علم النفس، وحقل تعلم اللغات، واللسانيات الحاسوبية، وكُتب لمنهجه القبول على نطاقات واسعة عالميا.

نجد حوارا أجراه تشومسكي حول (فلسفة اللغة)، ولنأخذ قضية الاختلاف بين اللغات الذي يؤكّده البنيويون قبله وينفيه تشومسكي، وقد قامت بهذا الحوار باحثة تسمى (رونا):" رونا: بالطريقة نفسها يؤكّد اللغويون البنيويون على الاختلافات بين اللغات.

تشومسكي: عليّ أن أكون حريصا في ردّي، لأن تعبير (اللغويين البنيويين) يمكنه أن يغطي تنوعا كبيرا في المواقف. من المؤكّد والصحيح أن اللغويين (البلومفيلديين الجدد) الأمريكان، الذين يطلقون على أنفسهم أحيانا اسم (البنيويين)، أعجبوا بتنوع اللغات أكثر من أي شيء، وبعضهم مثل –مارتن جوس– ذهبوا بعيدا بالتصريح (كطرح عام في العلم اللغوي) أن اللغات يمكن أن يختلف بعضها عن البعض الآخر بطريقة اعتباطية. عندما يتحدثون عن (الكليات)، هذا يتضمن تصنيفا لطبيعة محدودة جدا، ربما بعض الملاحظات الإحصائية. من جهة أخرى سيكون هذا التصنيف واسعا جدّا على التحديد في حالة مدارس اللغويات البنيوية الأخرى، على سبيل المثال، أعمال رومان جاكبسون، الذي كان مهتما دوما بالكليات اللغوية التي تحدّ كثيرا من مجموعات اللغات الممكنة، الفونولوجيا بشكل خاص على قدر اهتمام فوكو...هو يبدو متشككا من إمكانية تطوير مبدأ (الطبيعة الإنسانية) المستقل عن الظروف الاجتماعية والتاريخية، كمبدأ بيولوجي معرّف. لا أعتقد أنّه سيصنّف مقاربته

---

1 جفري سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، ص: 154، 155.

على أنها (بنيوية)، أنا لا أشاركه تشككه. سأتفق معه في القول إن الطبيعة الإنسانية لم تعد داخل نطاق العلم بالنسبة للحاضر هي تهرّبت من متناول البحث العلمي، ولكنني أؤمن أنه في بعض الحقول الخاصة مثل دراسة اللغة، يمكننا أن نبدأ في صياغة مبدأ مهم (الطبيعة الإنسانية) في جوانبه الفعلية والإدراكية، على أي حال لن أتردد في اعتبار ملكة اللغة جزءً من الطبيعة الإنسانية "[1]؛ فتشومسكي يصر على مبدأ أن اللغة جزء من الطبيعة الإنسانية وأن هذه الطبيعة هي واحدة، ما يؤدّي للقول بأن النحو الكلي موجود عند كلّ إنسان طبيعيا والملكة اللغوية واحدة، أما التجسيد الفعلي للملكة فينتج تنوع اللغات، لقد سعى تشومسكي لوصف وتفسير هذه الملكة وأراد أن يبين أن الاختلاف تحله قضية التحويل عن التراكيب الأساسية الموجودة في كلّ اللغات، فقد حاول إخراج نقاش الطبيعة اللغوية من العلم أحيانا إلى فلسفة اللغة.

د) شروط القواعد التوليدية

يضع تشومسكي شرطين يجب وجودهما لكي تكون القواعد المتفق عليها مناسبة:[2]

1- أن تولّد القواعد فعليا كل عبارات اللغة، ولا شيء غيرها، بلا استثناء، وعندما يُستوفى هذا المطلب، فستكون لدينا الدرجة الأولى من الملائمة، وهي درجة من درجات الملاحظة. ويرى تشومسكي أن هذا الضرب من الملاءمة ضرب ضعيف لأن عددا من الأنظمة القاعدية المختلفة، بالنسبة إلى اللغة نفسها، تستطيع أن تصل إليه، ثم إن هذه الملاءمة لتعد ضعيفة خاصة وأن عددا من العبارات لا تعد مقبولة أو غير مقبولة بوضوح، وإنه يجب علينا إذن، على هذا المستوى، أن تقبل على حدٍّ سواء القواعد التي تولّد هذه العبارات وتلك التي تقصيها.

2- وأن تستطيع أن تمثل في هذه القواعد المعرفة الحدسية التي يملكها المتكلمون فيما يخص عبارات لغتهم، ويقول آخر، يجب على هذه المعرفة أن يكون من ممكنها أن تترجم بمصطلحات الآليات التوليدية. وهكذا يجب أن يمتلك إلتباس عبارة من العبارات علامة خاصة في الإجراء الذي بموجبه تمّ توليده (يشترط تشومسكي مثلا أن يكون باستطاعة العبارة الملتبسة أن تولّد عددا من الأشكال المختلفة

---

1 نعوم تشومسكي، ميشيل فوكو، عن الطبيعة الإنسانية، تر: أمير زكي، دار التنوير، ط1، لبنان، 2015م، ص: 164، 165.

2 أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص: 76، 77.

يتناسب مع مالها من معانٍ مختلفة) أو أيضا إذا كنا نحس بأن هناك عبارتين تتقاربان نحوا، فإن هذا يجب أن يُقرأ بمقارنة الأشكال التي تولّدت فيها فقط (يطلب تشومسكي مثلا أن يظل الإجراء الذي يولّدها متطابقا خلال بعض الوقت). وإن القواعد التي تستجيب لهذا الشرط، سيقال عنها إنها ملائمة وصفا (وكذلك فإننا نتكلم عن الملاءمة القوية).

فهناك إذن قواعد موجودة بالذهن تتولى عملية إنتاج العبارات أو مراقبة الملاءمة اللغوية للعبارات التي يتم سماعها، فهناك نشاط عقلي مصدره القواعد التي يزود بها الإنسان بالفطرة تتولى عملية تنظيم اللغة، فكل لغة لها منطق ولها نظام رياضي خاص تتولى القواعد الذهنية رسم المعادلات التي تسلكها اللغة حتى تكون سليمة، فبمجرد إلتقاط الإرساليات الكلامية تعمل القواعد إلى قياسها بنماذج سليمة تم حفظها ليتم التأكد من سلامتها أو رفضها ، وبالتالي التعديل من الموقف الكلامي. والقواعد النحوية تتسم بالمحدودية، بينما الإنتاج الكلامي المجسد من تلك اللغة أو الإنجاز فإنه غير محدود وغير منتهي، فنظام الكمبيوتر يشبه العقل البشري، يكون في البداية مزوّدا بالنظام والذي يشتغل عند تزويده بالمعطيات، فهو يقوم بتنظيمها والتفاعل معها بذكاء ونظام صارم، وكذلك العقل يتزود بالمعلومات ثم يقوم بدوره في رفض بعض المعلومات وتنظيم أخرى لتقديم أداء سليم من الإنتاجات اللغوية الدائمة.

هـ) الملكة اللغوية

يتحدث تشومسكي عن الملكة اللغوية، فيقول:"...الملكة اللغوية خصيصة إنسانية فريدة. فللكائنات الأخرى مثلا أنظمة خاصة للاتصال، لكنّ هذه الأنظمة تختلف عن اللغة الإنسانية بخصائص مختلفة تماما، فليست اللغة نظاما للإتصال فحسب. فنحن نستعمل اللغة مثلا للتعبير عن الفكر ولإنشاء العلاقات الشخصية من غير اهتمام خاص بالإتصال، كما نستعملها كذلك في اللعب وفي أغراض إنسانية متعددة. ولقد حدثت في السنوات الماضية بعض المحاولات لتعليم الكائنات الأخرى (كالشمبانزي والغوريلا) أطرافا من اللغة الإنسانية، غير أن هذه المحاولات باءت بالفشل، وتلك حقيقة لا تثير دهشةً من يتأمل المسألة ولو قليلا. فتعطي الملكة اللغوية قدرا عظيما من المزايا للكائنات التي تتمتع بها. ومن غير المحتمل أبدا أن يكون لدى بعض الكائنات الأخرى هذه الملكة نفسها، لكنها لم تفكّر أبدا في استعمالها إلاّ بعد أن درّبها الإنسان. ويشبه قدر احتمال وجود هذه الحالة احتمال اكتشاف فصيلة من الطيور في جزيرة نائية تستطيع أن تطير بشكل طبيعي، لكنها لم

تفكّر أبدا في الطيران إلاّ بعد أن درّبها الإنسان على هذه المهارة..وليست الملكة اللغوية مقصورة على النوع الإنساني في خصائصها الرئيسية وحسب، على ما نعلم، بل إنها خصيصة مشتركة بين أفراد هذا النوع أيضا. فنحن لا نعلم سببا واحدا يدعونا إلى الاعتقاد بوجود أي اختلافات في الملكة اللغوية يرجع سببه إلى الاختلاف العرقي. وإذا كانت هناك اختلافات وراثية تؤثر على اكتساب اللغة واستعمالها فإن ذلك مما لا تستطيع قدراتنا الحالية اكتشافه، ونستثني من ذلك ما كان مصدره العيوب الخَلقية التي تؤثر على غير الملكة اللغوية أيضا"[1]؛ فالملكة اللغوية التي زُوّد بها الإنسان فائقة الدقة والعمق والاستعمال، وهي خاصية تخص الإنسان من دون الكائنات الأخرى، صحيح أن اليوم تصنع روبوتات تستطيع الكلام والتجاوب مع الأشخاص، ولكنها لن تصل أبدا إلى مستوى الكائن البشري لأنها لا تمتلك عمق العلاقات الإنسانية، فالإنسان يتفاعل منذ ميلاده مع الكون من حوله ويبطن الفكر الذي يتنامى يوما بعد يوم، وهنالك كذلك القدرة على تفاعل الأفكار وتداخلها، والاستنتاج المنطقي الذي لابد له من لغة حتى يصل إلى طرف آخر، فتشومسكي من خلال طرحه هذا يرد على السلوكيين الذين يسوون بين الإنسان والآلة والحيوان، ولكن الواقع عكس ذلك، فالإنسان لديه ملكة لغوية خلاقة وخارقة ومتفردة.

و) مصطلحي الكفاءة والأداء

سعى تشومسكي لابتكار مصطلحات جديدة أملتها دراساته، وقدّم تحليلا منطقيا واضحا أعطى لنظريته القبول والشيوع، ومن المصطلحات نجد مصطلح الكفاءة Competence وهي:"...القدرة على فهم جمل جديدة، وعلى تخمين الجمل المفارقة، بل حتى على تفسيرها، ويقصد التحويليون إلى إيجاد وسيلة تسمح بتوليد الجمل الجائزة وتحول دون دخول الجمل التي لن يقبلها المتكلم السليقي، ولذلك كانت دراسة الحدوس Intitution والأحكام التي تصدر على الجمل ذات أهمية بالغة عندهم، بل إن تشومسكي ليصرح بأنه يتمنى أن يتوصل إلى نظرية يمكن أن تتنبأ بهذه الحدوسات. وقد صار النحو التوليدي (على الرغم من أنه إذا جاز التعبير وليد الأسس) واحدا من المجالات التخصصية الأساسية في اللسانيات الحديثة. بل إن كثيرا من غير المقتنعين بأن يكون لنظرية تشومسكي هذا

---

1 نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، ط1، المغرب، 1990م، ص: 64، 65.

النفوذ التفسيري في اللسانيين نراهم يتقبلون طريقته التحليلية في مجال دراسة التراكيب النحوية. ودخل المنهج التحويلي بالفعل في علم اللهجات، وفي الدراسات الدلالية، وفي دراسة صيغ الكلمة وتاريخ اللغة، كما بدأ استثمار منجزاته في البحث الصّوتولوجي، وكان م.هيل M.halle أوّل من أدخل المقاربة التوليدية في الوصف الصّوتولوجي...وعلى الرغم من أن النحو التحويلي نشأ في الولايات المتحدة فقد تلقاه العلماء في الإتحاد السوفييتي بالحماسة، ويرجع ذلك في الأساس إلى إمكاناته التطبيقية في الترجمة الآلية، وهناك تنافس في الوقت الحاضر بين اللسانيات الأمريكية واللسانيات السوفييتية يهدف إلى تحقيق نتائج في هذا المجال البحثي"[1]؛ فالتوليدية التحويلية كانت منطقية رياضية يتقبلها كل دارس، وكانت مناسبة للعديد من اللغات الواسعة الانتشار عبر مختلف مناطق العالم، وكان للغة العربية النصيب الأوفر من هذه النظرية اللسانية، ويعتبر تطبيقها من طرف الباحث العربي مازن الوعر خير مثال على نجاح هذه النظرية عربيا، كما أن اللسانيين عن طريق هذه المدرسة بنحوها التوليدي نجحوا في عملية حوسبة اللغات عن طريق تحليل الجمل بدءً من البنية الكبيرة إلى المكونات الصغيرة عن طريق المشجرات وفي نهاية المطاف الترجمة الرياضية بالمعادلات. إن كل متكلم لغوي لما يسمع جمل يستطيع تمييز الجمل الخاطئة من الصائبة حتى وإنه لم يدرس النحو ويتعلم البحث اللساني بفعل الحدس اللغوي والاستبطان، وبفعل فهم قواعد اللغة المودعة بالذهن التي تسمح بغربلة الجمل وتمييزها نحويا وتحديد الجمل الصالحة من الخاطئة ومن المتوسطة القبول، كما أن الدلالة صارت لها تفسيراتها في البنية العميقة للغة وتم استحداث مكونات دلالية ومكونات نحوية تتظافر لإنشاء الجمل ولإخراج البنى السطحية السليمة.

قسّم تشومسكي اللغة إلى مصطلحي الكفاية والأداء:"...وأطلق على الظاهرة الأولى تعبير Competence وعلى الثانية تعبير Performance...وقد قصد بالتعبير الأول أي اللغة؛ تلك القدرة التي تتكون لدى كل فرد من أفراد مجتمع معيّن والتي تمكّنه من تكوين ما يريد من الجمل الجديدة في المناسبات المختلفة رغم أنه ربما لم يسمع تلك الجمل في حياته قط. ويسمي تشومسكي هذه القدرة (المعرفة اللغوية) ويعتقد بأن من أهم مقومات هذه القدرة هي معرفة الفرد بالقواعد الصرفية النحوية...أما التعبير الثاني أي الكلام فيقصد به تلك الأصوات اللغوية التي ينطقها الفرد بالفعل والتي

1- ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص: 385، 386.

قد لا تكون صورة صحيحة للغة لأن فيهما الكثير من التردد والتكرار والتوقف ومخالفة القواعد اللغوية والجمل المبعثرة إلخ، بحكم الظروف التي تحكم الكلام الفعلي"[1]؛ فتشومسكي لم يكن مقتنعا بالخلفية الفكرية للسلوكية بالرغم من أنه كان من مرتاديها في رحلتها الأخيرة وقد أخذ منها بعض طرق التحليل اللساني للتراكيب، ولكن الفلسفة العقلانية وتعمقه فيها أدّت به لرفض المنهج السلوكي والتعمق في الظاهرة اللغوية وإيجاد مفاهيم جديدة للغة لم تكن معهودة، كانت في البداية تثير الكثير من التحفظات ولكنها صارت مقبولة بعد تقديم تشومسكي كل الأدلة والآراء العلمية في الدرس اللساني، وتم تقسيم اللغة إلى عنصر ظاهري وهو الأداء اللغوي وعنصر خفي هو الكفاية اللغوية التي تكتشف من الأداء، والكفاية يحكمها النظام والتقنين والضبط، بينما الأداء يتراوح بين النظامية واللانظام أحيانا.

ز) الخلق والابتكار في اللغة

يرى تشومسكي أن اللغة تتسم بالإبداع والخلق والقدرة على الابتكار، فـ:"...نظرية الخلق أو الابتكار التي قال تشومسكي أنها متوفرة عند من يتكلم لغة معينة فهي أيضا ثورة كاملة على أنصار تلك المدرسة الذين كانوا ينادون بأن دارس اللغة طفلا كان أم راشدا يبدأ بتعلم تلك اللغة وذهنه صفحة بيضاء ينقش عليها النماذج اللغوية التي يتعلمها، وعند الحاجة يلجأ إلى ذلك المخزون ويختار النماذج التي تناسب المقام. ولم يكتف تشومسكي بدحض تلك المزاعم وإثبات نظريته القائلة أن الطفل يكتسب لغة الأم عن وعي وإدراك حتى في سنه المبكرة جدّا، وإنه حالما يستوعب القواعد المختلفة التي تعتمد عليها اللغة تتكون عنده القدرة على الخلق، أي على تركيب الجمل المختلفة التي يريدها في الوقت والظرف المناسبين دون أن يكون بالضرورة قد سمع تلك الجمل وحفظها ممن حوله، بل لقد ذهب تشومسكي إلى أبعد من ذلك فقال بأن الطفل لا يولد وذهنه صفحة بيضاء، بل ويولد ولديه قدرة فطرية على تعلم أية لغة من لغات العالم. وقد شرح تلك القدرة الفطرية بأنها بالنسبة للطفل الوليد، تتألف من معرفة مسبقة لتلك القواعد العامة التي تقوم على أساسها جميع لغات العالم، وإنّ ذلك الطفل لا يكتسب اللغة عن طريق السماع والمحاكاة والحفظ فحسب، بل إنه يحاول أن يضع ما يسمعه من كلام اللغة التي يعيش بين أهلها، في القوالب العامة لجميع اللغات التي ولد بها، فالطفل

---

1 نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص: 93، 94.

لا يكون عنصرا سلبيا، بل عنصرا إيجابيا جدًّا يستغل محاكمات عقلية في أثناء اكتسابه اللغة"[1]؛ فالطفل حسب تشومسكي يولد بجهاز لغوي ذكي، متشابه عند كل الأطفال، وهذا الجهاز يصلح لكل لغات العالم ولهجاتها، لأن اللغة مصدرها الأوّلي هو العقل؛ ثم إن العقل يزوّد به الإنسان منذ ميلاده ولديه القدرة على القياس والمنطق والحساب الرياضي المحكم، ولهذا تجد الجهاز اللغوي يرفض كل التراكيب الخاطئة لأنها لا تتفق مع نظامه، فالعقل لديه القدرة على تمييز الجمل القوية من الجمل المتوسطة أو الضعيفة أو الخاطئة، من غير تعلم هناك الحدس اللغوي والسليقة اللغوية، خاصة الأطفال الصغار الذين لديهم المرونة في تعلم اللغات أكثر من الكبار، وبالتالي مصدر الأنظمة اللغوية هو نظام لغوي عالمي واحد لدى الإنسان أو ما يسمى بالنحو العالمي، وتعدد اللغات واللهجات هو تنوع عقلي لنظام بشري واحد، كل مجتمع يرى اللغة أن تكون بطريقة تخصه تواضعت عليها الجماعة اللغوية، ففي بداية اللغة تكون الأصوات ثم الكلمات ثم يأتي العقل ليؤطّر الكلمات ويصبغها بنظامه الفطري، فالملكة اللغوية مكتسبة منذ عند الخالق، ولكل مجتمع طريقته ونظرته في الصناعة النظامية للغة.

ح) مصطلح التحويل وقوانينه

من أهم المصطلحات التي وردت عند تشومسكي مصطلح التحويل:" في البنى التركيبية (1957م) ميّز تشومسكي بين الجملة الأساسية التي أطلق عليها الجملة النواة...والجملة المشتقة التي أطلق عليها الجملة المحوّلة Transforme، ووصف الجملة النواة بأنها بسيطة وتامة وصريحة وإيجابية ومبنية للمعلوم، والجملة المحوّلة بأنها تنقصها خاصّة من خواص الجملة النواة، وتكون إمّا استفهاما أو أمرا أو نفيا أو معطوفة Coordinated أو متبعة Subordinated أو مدمجة Embedded، وقال بأن التحويل يكشف لنا بطريقة جلية كيف تتحول الجملة النواة إلى عدد من الجمل المحولة وأتى بجملة من القواعد التحويلية التي قد تكون وجوبية Obligatory أو جوازية Optional منها: الاستفهام والنفي والأمر والمجهول والعطف والدمج، والاتباع، وبشكل عام، فإنّ الطريقة المتبعة هي أنّه بعد تطبيق القواعد المركبية Phrase structure grammar تطبيق مباشرة القواعد التحويلية Transformational rules على السلسلة النهائية Termind string لتشكيل

---

1 المرجع السابق، ص 96.

الجمل المرادة، وهي بذلك لا تخرج من إطار هذه العمليات المستعملة بكثرة في الرياضيات: أ- الحذف Deletion. أ+ب ——— ب. ب) الإحلال Remplacement أ ——— ب . ج) التوسع Expansion أ ——— ب+ج. د) الاختصار Reduction أ+ب ——— ج. ه) الزيادة Addition أ ——— ب+ج. و) إعادة الترتيب Permutation أ+ب ——— ب+أ . وكما ورد في (البنى التركيبية) تساعدنا القواعد التوليدية التحويلية على التمييز بين الجمل التي تبدو متماثلة ولكنها في الأصل مختلفة، والجمل التي تبدو مختلفة ولكنها في الواقع متماثلة، وعلاوة على هذا، فإنها تلعب دورا كبيرا في فك الغموض الذي يكتنف عددا كبيرا من الجمل مثل: (Flying planes can be dangerous) التي أن يفهم منها شيئان مختلفان: أولا: إنّ قيادة الطائرات قد تكون خطيرة، وثانيا: إن المركبات التي تطير قد تكون خطيرة"[1]؛ ففكرة التحويل تساعد في تحليل العديد من التراكيب اللغوية، فكل الجمل إمّا تكون أساسية صريحة و واضحة أو تكون جاءت بفعل تغيير وتحول يصيب أجزاء التركيب في حدود إمكانات اللغة، إن هذا التحليل موجود في النحو التقليدي وقد استفاد منه تشومسكي في معرفة أوجه الجمل وتمظهراتها المختلفة، وهي تحويلات تحدث بشكل مقنن وكأنها معادلات رياضية أو يمكن تعويضها كمعادلات برموز رياضية وهذا ما يفتح آفاقا واعدة لتفسير التركيب اللغوي معلوماتيا، لأن اللغة تشتغل بوتيرة منظمة، وهناك عدد كبير من الجمل لها نفس التشابه، ويمكن التأسيس لمجموعات مختلفة من التراكيب لها نفس النمط النواتي أو التحويلي.

هناك صنفان للقوانين التحويلية هما:[2]

1) قانون اختياري Optional rule: إذا كان القانون اختياريا فهذا يعني أنه يجوز تطبيقه جوازا. فلو افترضنا أن هناك قانونا يحول المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول، فلا شك أن مثل هذا القانون هو قانون اختياري، لأنه لا شيء يجبرنا أن نحوّل المعلوم إلى المجهول، وهذا التحويل إن هو إلاّ عمل اختياري.

2) قانون اجباري Obligatory rule: وإذا كان القانون إجباريا فإنه لابد من تطبيقه على كل جملة في اللغة لتصبح جملة صحيحة نحويا. وعلى سبيل الافتراض، إذا كان هناك قانون لوضع الحركات

---

1 أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص: 207، 208.

2 محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح، عمان، 1999م، ص: 25، 26.

على الأسماء في اللغة العربية، فلا شكّ أن مثل هذا القانون سيكون إجباريا، لأن وضع الحركات الصحيحة أمر جوهري بالنسبة لكل جملة في اللغة العربية تحتوي على أسماء. بالإضافة إلى هذا، فإنه يمكن تصنيف القوانين التحويلية إلى نوعين آخرين من حيث عدد التراكيب التي يتناولها القانون التحويلي الواحد:

أ) قانون مفرد Single-base or single role: وهو قانون يتناول تحويل تركيب واحد فقط، وهو إمّا أن يكون إختياريا وإما أن يكون إجباريا.

ب) قانون مزدوج Double-base or generalized rule: وهو قانون يتناول تحويل تركيبين عن طريق دمج تركيب ثانوي في تركيب رئيسي لتكوين جملة مركبة Complex sentence أو عن طريق إضافة تركيب إلى آخر بواسطة العطف.

فالقوانين التحويلية لها دور في إنشاء التراكيب المركبة والجديدة والناشئة من التراكيب الأساسية، غن هذه التراكيب تنشط أثناء الكلام أو الكتابة، أحيانا تكون ضرورية وملزمة، وأحيانا تكون إختيارية وليست شديدة الأهمية، إن فكرة وجود القواعد التحويلية يؤدي إلى الإختصار في القواعد ككل، فعن طريق قواعد محصورة ومختزلة أساسية نستطيع بفعل التحويل من الزيادة في الابتكار اللغوي والإنشاءات الجديدة، وهذه القواعد التحويلية موجودة في كل اللغات، ولكن آلية اشتغالها تتنوع بتنوع اللغة أو اللهجة، وهذه القواعد التحويلية تعمل إلى جانب القواعد التوليدية وفق مسار منظم ووفق معادلات رياضية، لأن اللغة تسير بنظام صارم لا يقبل التساهل، لأن أي خروج عن القواعد سيشوش على التواصل ويؤدي إلى ضعف الدلالة أو انعدامها.

ط) التركيب الأساسي

إنّ التركيب الأساسي عند تشومسكي عالمي، فقد:"...أخذ العديد من علماء النحو في شتّى أنحاء العالم يهتمون حديثا بالبحث عن التركيب الأساسي العالمي، أي التركيب الباطني المشترك بين معظم اللغات الإنسانية إن لم يكن مشتركا بين جميع اللغات المستعملة في العالم كله. والسبب الكامن وراء هذا البحث هو الافتراض بأن هناك لغة إنسانية واحدة Human language. ووجود مثل هذه اللغة الواحدة يمكن الاستدلال عليه بالحجة القائلة بأن اللغة تعبر عن معانٍ وأفكار وعواطف، وحيث

أن الجزء الأكبر من هذه العواطف والأفكار والمعاني مشترك بين بني الإنسان على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، فإن التركيب الباطني في كل لغة لابد أن يحتوي على عناصر مشتركة بين كل اللغات، وهنا يبرز الدور الذي يجب أن يقوم بأعبائه اللغوي: وهو أن يستنبط ذلك التركيب الباطني الذي يحتوي على تلك العناصر المشتركة بين اللغات على اختلاف أصولها وشعوبها، وهناك حجة ثانية لإثبات وجود التركيب الباطني العالمي؛ كل إنسان سوي يولد وعنده الاستعداد ليتكلم ويفهم لغة ما. وما أن يتعرض للغة ما (وهي في الغالب لغة والديه) مدة من الزمن حتى يصبح أحد الناطقين بتلك اللغة. ولا يتوقف الأمر عند تقليد الطفل لما يسمع، بل إنه سرعان ما يبدأ بتكوين جمله الخاصة به وفقا لقوانين يستنبطها هو بنفسه ولنفسه ليسيطر بها على اللغة التي تلزمه ليعبر بوساطتها عن حاجاته ومشاعره"[1]؛ وبهذه الفكرة انتشرت وسيطرت التوليدية التحويلية، لأنها تسعى للعالمية، فالإنسان مزود فطريا بنظام لغوي واحد، يستطيع فهم وإنتاج أية لغة وأية لهجة، فالعقل يعتبر اللغة نشاط من أنشطته، يتصرف بذكاء مع مختلف اللهجات واللغات التي يستمعها، فيستنبط نظامها و أوجه تشكيلاتها الصوتية والصرفية والتركيبية، إن التوجه التحويلي التوليدي لقي قابلية لتطبيقه على كل اللغات عبر العالم، لأن قواعده ذات صبغة عالمية كلية، ولا تخص لغة من دون أخرى، وقد كان هناك العديد من العلماء العرب الذين نجحوا في تطبيق القواعد التوليدية التحويلية على تراكيب اللغة العربية.

ي) مكانة العقل عند تشومسكي

يعطي التوليديون أهمية كبيرة للعقل البشري، فـ:"...ليس العقل أو المخ الإنساني صفحة بيضاء أو وعاءً فارغا للإمبريقيين، لا عمل له إلاّ انتظار الإنطباعات والمعلومات التي تنطبع عليه من الخارج. فالعقليون ينظرون للمخ باعتباره مزودا وراثيا ببرنامج غني ومفصل بوضوح، لاستقبال وتفسير وتخزين واستعمال المعلومات العشوائية التي تزوده بها أعضاء الحس، وهذا يساوي (الأفكار الفطرية) عند العقليين الديكارتيين الكلاسيكيين في القرن السابع عشر...وفي ضوء هذا فإن تعلم اللغة الأولى هو العملية التي يقوم بها مخ الطفل نحو التجربة العشوائية للكلام الذي يواجهه الطفل، سواء أكان الكلام موجها إليه أو منطوقا في حضوره، ويتم هذا من خلال نظام محدد بإحكام نوعا ما من

1 المرجع السابق، ص: 13، 14.

القواعد الموجودة، نظام محدد من خلاله يجب أن يتم إدخال المعلومات وتخزينها وفهمها. من هنا يرى اللغويون التوليديون التشومسكيون اكتساب اللغة الأولى باعتباره نشاطا ومقدرة خاصين على نقيض معظم أشكال التعليم الأخرى، وهذا النشاط يعتمد على مكون معين موجود في العقل أو المخ على نحو وراثي، وهو جهاز اكتساب اللغة Language Acquisition device (L A D)، وهو بشكل محدد جانب القواعد العمومية. وفي ضوء هذا فإن اكتساب اللغة الأولى الذي ينجزه كل الأطفال الطبيعيين دون ملاحظة غالبا، ودون تعليم منظم، يتميز بشكل محدد عن تعلم اللغة الثانية فيما بعد، وعن الدراسة المعمقة في المدرسة للغة المرء الأولى، وهي عمل يباشره المرء بشكل واعٍ، ويتطلب تعليما من آخرين أو هي على الأقل تعليم ذاتي متعمد"[1]؛ فالطفل عند ميلاده يلتقط كل ما يقال من حوله، ليقوم العقل بتحليل البيانات، ومعرفة الوحدات اللغوية تركيبها ودلالاتها، وكيفية الربط بين مختلف الوحدات، وحتى السياق المناسب للإستخدام اللغوي ومعرفة أوجه الكلمات استعمالا عاديا أو مجازيا، في البداية يلتقط الطفل اللغة اجمالا كتراكيب ثم بالتعليم المنظم يتعمق في ماهية التركيب وطبيعة الظواهر اللغوية، ويستطيع الطفل أو الإنسان البالغ تعلم أي لغة خاصة في محيط حواري مفتوح، لأنه الأسرع في التعلم اللغوي، فالإنسان كائن ذكي يستطيع أن يتقن الحدس والإستبطان والقياس، أي قياس تركيبات جديدة تبعا لتركيب سليم موثوق منه، ولا يوجد أي فرق بين أي طفل من أي جنس كان من حيث وحدة النظام اللغوي، يشبه في ذلك جهاز الكمبيوتر الذي يستطيع فهم معطيات جديدة ومعالجتها مهما كانت ويتعامل بأي لغة يتم إدخالها، فاللغات المختلفة هي نتاج العقل البشري الواحد ويمكن أن تتنوع وذلك مظهر من مظاهر الثراء.

ك) النحو والصرف عند التوليديين

لقد عني تشومسكي في كتابه (التراكيب النحوية) بالنحو والصرف:" اللغويون التحويليون التوليديون يستعملون عموما المصطلح (قواعد Grammar) بمعنى واسع يضم الفنلجيا، ويميلون لمعاملة الصرف بوصفه مجموعة فرعية من القواعد النحوية Syntactic rules، ويمكننا أن نرَ الآن عامي 1965.64م باعتبارهما مميزين لتطور رئيسي اقتضت فيه النظرية التحويلية-التوليدية ضم الدلالة والفنلجيا في نطاقها، ومن هنا كتب كاتز Katz وبوستال Postal عام 1964م: (الوصف

---

1 ر.هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة، ص: 312، 313.

اللغوي للغة الطبيعية عبارة عن محاولة لكشف طبيعة تمكن المتكلم طليق اللسان من هذه اللغة)، وأي بحث آخر في البدهية اللغوية او المعرفة العملية باللغة هو بصورة مثالية عبارة عن بحث غير ضروري وغير منطقي، لأن هذه البديهة ستكون واضحة ومتضمنة في وصف اللغة. والهدف الذي وضعه هؤلاء اللغويون لأعمالهم هدف أكبر من ذلك الهدف الذي وضعته أي مجموعة سابقة من اللغويين، فهو لا يقل بحال عن عرض كل شيء في وصف اللغة تتضمنه الكفاءة اللغوية للمتكلم الأصلي للغة. وأهداف اللغويين التحويليين يمكن إحرازها بصياغة الأوصاف اللغوية في شكل قواعد تجسد المقدرة الإبداعية لمتكلم اللغة الأصلي على إنتاج وفهم عدد لا نهائي من الجمل (كل الجمل القواعدية للغة فقط) التي لم ينطق معظمها أو يسمعه من قبل، وهذا عن طريق القواعد المتكررة والوسائل الأخرى في القواعد المصوغة للغات"[1]؛ فعن طريق عدد محدود من القواعد تستطيع توليد ما لا حصر له من الجمل، فاللغة تميل للإختصار في القوانين ولكنها تمنح وجوه ثرية من الاستخدام التركيبي، كي لا يمل المتلقي وتسعفه اللغة للكلام، إن التوليدية أفادت من تصور النحو التقليدي في الصرف والنحو والدلالة، ولكن التوليدية تحاول أن تجعل هذه المناحي الثلاثة كعلم واحد، لأنها ترى أن الهدف النهائي للغة هو إنشاء التركيب السليم نحويا وصرفيا ومحققا للدلالة الوافية، لقد عنيت التولدية التحويلية بالدلالة وجعلت لها قواعد في البنية العميقة وحاولت وصفها وتشخيصها، وهذا ما عجزت عنه كل المدارس اللسانية من قبل. إن هناك عمليات استباقية على مستوى الذهن قبل التفاعل الكلامي وهي مهمة للإنتاج التركيبي، هناك النشاط العقلي السيكولوجي الخفي، وهو بحث عن قدرة العقل في إيجاد التركيبة المناسبة لإنتاج الجمل، وهناك الخبرة والتجربة المتضمنة في الدماغ والتي لها دورها في الإبداع اللغوي، إن الطفل والمتعلم لا يستوعب فقط الجمل، بل يستوعب السياق وكيفية التعامل مع المواقف الكلامية وآداب اللباقة وخصائص التراكيب في القيام بالنجاعة الخطابية المناسبة.

يتحدث تشومسكي عن النحو التوليدي والنحو الكلي فيقول:"...نحن نحاول...أن نصوغ نحوًا؛ أي نصوغ نظرية عن لغة ما تمكننا من وصف الكيفية التي تعيّن بها هذه اللغة التمثيلات العقلية المحددة لكل تعبير لغوي، أي الكيفية التي تحد بها اللغة شكل ذلك التعبير ومعناه. أمّا المهمة الثانية وهي الأصعب فتأخذنا إلى ما وراء الوصف، أي إلى مستوى التفسير الحقيقي. ونحن نحاول حين

---

1 المرجع السابق، ص: 325، 326.

نقوم بهذه المهمة صياغة نظرية عن النحو الكلي، أي صياغة نظرية عن المبادئ الثابتة غير المتغيرة التي تكوّن الملكة اللغوية الإنسانية، وعن متغيرات التنوع المقترنة بهذه المبادئ، وبإمكاننا بعد ذلك أن نشتق اللغات المعينة بوضع هذه المتغيرات في وضع معين أو آخر. يضاف إلى ذلك أنه إذا أُعطينا المعجم، وهو الذي يتوافق أيضا مع مبادئ النحو الكلي، وكانت المتغيرات موضوعة في وضع محدد فسيكون بإمكاننا أن نفسّر لماذا كان للجمل في هذه اللغات الأشكال والمعاني التي هي عليها وذلك باشتقاقنا تمثيلاتها البنيوية من مبادئ النحو الكلي. ويمثل السؤال الثاني حالة خاصة من مشكلة أفلاطون تظهر حين ندرس اللغة. ويتوقف نجاحنا في حلّ هذه المشكلة على نجاحنا في صياغة نظرية للنحو الكلي، ذلك على الرغم من وجود عوامل أخرى تدخل في هذه المسألة كالعمليات التي توضع بها المتغيرات مثلا. كما يجب أن نعِ أن معالجة بعض الحالات الأخرى لمشكلة أفلاطون في مجالات أخرى لابد أن تتم بالطريقة نفسها. فتعلم اللغة إذن هو تلك العملية التي تُعيّن بها قيم المتغيرات التي لم يحسمها النحو الكلي، أي أنها العملية التي توضع بها المفاتيح في وضع يجعل الشبكة تبدأ عملها..."[1]؛ فتشومسكي رأى أن كل اللغات تعود إلى النحو الكلي مهما كان نوع اللغة عربية كانت أو إنجليزية أو فرنسية...وقد حاول بالفعل العديد من الباحثين تطبيق أفكار تشومسكي حول النحو الكلي على مختلف اللغات، وفي اللغة العربية هناك من حاول من الباحثين. إن عمل تشومسكي على النحو الأساسي والنحو الكلي يتسم بالكثير من العمق والتفصيل ويحتاج إلى تأنٍّ لفهم تشكيلة اللغات الأساسية والتحويلية، وقد انطلق في ذلك من آراء أفلاطون وديكارت وذلك من منطلق أن اللغة البشرية أصلها واحد، ولها نظام موحد في الدماغ البشري، ويتيح هذا النظام الكلي تعلم وأداء أية لغة كانت، فالطفل يشغل النظام الكلي من محيطه الأسري والاجتماعي، ويوجد الكثير من التشابه بين مختلف اللغات، كالجملة الإسمية والفعلية وأدوات الربط وظروف الزمان والمكان وأنواع الفعل والأسماء والمبتدأ والخبر، غير أن هناك اختلافات معينة ناتجة عن التحويل، وقد حاول تشومسكي دراسة ذلك الاختلاف على مستوى النحو الكلي.

ل) مكانة الحدس عند التوليديين

---

1 نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ص: 185، 186.

لقد جعل تشومسكي من الحدس جزءً من النظرية التوليدية التحويلية، فـ:"...عن علاقة الحدس بالنظرية اللغوية فقد تحددت على المعنى الذي يشير به داخل النظرية التوليدية إلى أحكام المتكلمين على المعطيات اللغوية، فالمعطيات الإمبريقية التي يجب على النظرية اللغوية أن تقوم بشرحها لا تحتوي فقط على الضوضاء التي يحدثها المتكلمون، بل على أنواع كثيرة من الأحكام التي يصنعونها والمشاعر التي يمتلكونها تجاه المعطيات اللغوية، ويشار إلى مثل هذه الأحكام على أنها حدوس لغوية، والجدير بالذكر أن مصطلح الحدس داخل النظرية التوليدية يستخدم بطريقة تقنية يمكن اختصارها بصورة تقريبية في أحكام المتكلمين الأصليين على الصحة النحوية والدلالية الخاصة بجمل اللغة التي يتكلمونها، وللتأكيد على أهمية الحدس داخل النظرية اللغوية دائما ما يُشار إلى أن المتكلمين الأصليين يمتلكون حدوسا قوية عن تجمع الأصوات والكلمات التي تتشكل منها لغتهم وعن التفسيرات التي يمكن أن تعطى لهذه الأشكال، ويمكن اعتبار مثل هذه الحدوس بمثابة نافذة نطلّ منها على النظام الكامن خلف النظام اللغوي؛ إذ يشير الحدس إلى المعرفة الضمنية الكامنة خلف السلوك اللغوي"[1]؛ وباعتماد النظرية التوليدية على الحدس، فـ:"...قد جنت كثيرا من الحقائق المتعلقة باللغة التي تردد صداها في كثير من العلوم ذات الصلة، ولازال الحدس يلعب دورا فاعلا في إلهام هذه النظرية بأفكار جديدة، وهي مع كل هذا تلتزم الموضوعية فتعترف بالمحاذير التي تصاحب استخدامه، وتترك الباب مفتوحا لتقييم مثل هذه الحدوس"[2]؛ فقبل تشومسكي لم يكن يُعطى للحدس أي أهمية في التحليل اللغوي، وكان يعتبر غير علميا، ولكنه –في الحقيقة– جزء من إمكانات العقل، فالحدس يستطيع أن يحدد الجملة الصحيحة من الخاطئة، ومن الجملة المقبولة ومتوسطة القبول، إن خبرة الإنسان الطويلة تزيد من حدسيته، وليس بشرط أن يتشكل الحدس بالتعليم المنظم، فلكل إنسان حدس يبدأ بالتطور منذ الطفولة إلى الكبر، شيئا فشيئا، وهو متعلق بالسماع اللغوي بدرجة كبيرة، فالسامع اللغوي ينزعج من الاستعمالات الفاسدة والتي لا يطمئن لها العقل، حتّى وأن السامع لا يعرف تفاصيل القواعد النحوية وأدوات الربط وسياق الوحدات اللغوية، إلاّ أنه لا يقبل الأخطاء ويبادر لتصويبها، والحدس عنصر هام ضمن حقل علم النفس وقد كانت الفلسفة القديمة قد فصّلت فيه، وتم

---

1 منتصر أمين عبد الرحيم، "مفهوم الحدس في النظرية التوليدية التحويلية"، مجلة اللسانيات، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد 17، المجلد 18، الجزائر، 2012م، ص 10.

2 المرجع نفسه، ص 28.

استغلاله من طرف تشومسكي ضمن اللسانيات، وقد تمّ تطويره حديثا ضمن الأجهزة الذكية وصارت الآلة تصحح الأخطاء وتبين صحة الجمل وجودتها.

م) عالمية الطرح التوليدي التحويلي

حقق تشومسكي نظرية اكتسحت ساحة الدراسات اللسانية عالميا؛"...نظرية تتعلق بالبنى التركيبية التي انطلاقا من نقد التوزيعية وصلت فيما بعد إلى نظرية جامعة للسان حازت على شهرة لا نظير لها في العالم. يتعلق الأمر بالمرور من مفهوم للعلم مبني أساسا على الملاحظة وتصنيف الوقائع إلى مفهوم يعطي الأولوية للنماذج (أمثلة) النظرية التي بواسطتها تفسر الوقائع، لقد بينا العلاقة بين هذه النظرة، وتلك التي انطلق منها قبل اللسانيات العلمية، (النحو العام) لبور روايال، ولكن يتعلق الأمر هذه المرّة بنحو توليدي يبرر الطابع الإبداعي للسان والملكة التي يمتلكها متكلم اللغة، الذي له المقدرة على تشغيل نظام لغوي (تركيبي، فونولوجي، دلالي) وذلك بتحقيقه في جمل تمثل أداءه. إن ما ميز اللسانيات المعاصرة هو على الخصوص النظرية التركيبية العامة التي حاول النحو التوليدي إنشاءها. إن الحركة الشومسكية بطرحها للعلاقات التركيبية الأساسية على أنها عامة وبإبرازها للمعطى اللغوي السطحي اعتمادا على عمليات تحويلية (ومنه اتحاد الكلمتين في النحو التوليدي والتحويلي) سارت في اتجاه مناقض لنزعة من البنوية التقليدية ركّزت على خصوصية بنى كل لغة، إلى حدّ طرحها نظريا أنّ ما يتغير من لغة لأخرى هو وحده الذي يعتبر لغويا لسانيا. إنّ هذه الحركة التي غالبا ما تنغلق في نزاعات مدرسية تتجه نحو الزوال اليوم. إننا نلاحظ بوضوح الحدود والهنات النظرية، ولكنها كانت سببا في إنتاج سمح بإبراز عدد من الوقائع في اللغات الموصوفة، لم يطلها تحليل اللغويين القدامى"[1]؛ فتشومسكي كان علامة فارقة في اللسانيات المعاصرة، أخذ من التصورات القديمة ما يناسبه، وكيّفها وفق منهج علمي صارم استطاع أن يغزوَ به مجال البحث اللساني، فبعد تراجع الاهتمام بالدلالة والعوامل الخفية المساهمة في إنشاء اللغة، جاء تشومسكي لينتصر للدلالة والعمليات النفسية الداخلية، صحيح أن البنى السطحية مهمة، ولكن الأهم هو الأصل الذي جاءت منه، نستطيع استكناه البنية العميقة بقراءة خلفية للتراكيب الظاهرة، فعملية التحليل للتراكيب تكشف القواعد التوليدية التحويلية التي ساهمت في إنشائها.

---

1 جان بيرو، اللسانيات، تر: الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر، 2001م، ص: 106، 107.

ن) انتقاد تشومسكي للطرح السلوكي للغة وإفادته من النحو التقليدي

استفاد تشومسكي من تصورات النحو التقليدي في التأسيس لتصورات القواعد التحويلية التوليدية، فقد أفاد:"...من النتائج التي توصل إليها النحو التقليدي والنحو الوصفي، فأخذ...نقاط القوة منها، وانتقد...نقاط ضعفهما، ولئن كان تشومسكي قد اعترف ببعض جوانب القوة في النحو التقليدي، فإنه انتقد على الخصوص شكله العام، وتعريفاته، وقواعده الغامضة، والطريف أنه في الوقت الذي كان فيه نلسون فرانسيس (Nelson Francis) منهمكا في إظهار نقائص النحو التقليدي وتقديم النحو الوصفي كبديل وثورة على كل قديم معبّرا بذلك عن الآراء السائدة آنذاك، كان تشومسكي قد أعلن أن النحو التقليدي يعطي تصوّرا أكثر عمقا وملائمة عن طبيعة اللغة، وقد صرّح في كتابه (اللسانيات الدّيكارتية) أنّ عدم استمرار التطور في النظرية اللسانية كان قد أضرّ بها، وأنّ الفحص الدقيق للنظرية اللسانية الكلاسيكية ونظرية العمليات العقلية المرافقة لها قد يثبت لنا في المستقبل أنه عمل ذو قيمة كبيرة. وقد بلغ به الأمر إلى القول في المصدر نفسه: إنّ نظرية القواعد التوليدية التحويلية في تطورها الحالي ما هي إلاّ نسخة حديثة ومعدّلة عن نظرية بور روايال. أما فيما يخص السلوكية في اللسانيات فإن تشومسكي لم يرفضها فحسب، بل حاربها في عقر دارها، وفوّض الدّعائم التي يقوم عليها علم النفس السلوكي بشكل عام، وقد انتقد تشومسكي كتاب سكينر (السلوك الكلامي)...في مقال له بعنوان: مراجعة كتاب سكينر: السلوك الكلامي...وقد بيّن تشومسكي في هذا المقال قدرته العلمية الفائقة ومعرفته الواسعة بعلم النفس وهاجم المبادئ التي انبنى عليها المذهب السلوكي..."[1]؛ ولهذا نجد أن التوجه التوليدي التحويلي يستجيب كثيرا للنحو العربي، خاصة وأننا نعلم أن تشومسكي اطّلع على النحو العبري القريب والمستخلص من النحو العربي، لأن العبرية والعربية متقاربتان في النظام النحوي، فتشومسكي أراد تطوير النحو القديم ونزع بعض الأحكام المعيارية منه، فقد انتصر للتراث اللغوي الإنساني بعدما غيّبه وحطّ من قيمته التوجه السلوكي، فقد رفض كل ما جاءت به السلوكية، واستفاد منها فقط بالتحليل على مستوى البنية السطحية، خاصّة أعمال هاريس أستاذه، وهذا ما يدعونا للإفادة من التوليدية التحويلية لمقاربة تراثنا النحوي القديم، وذلك بإخراجه من معياريته وتيسيره وفق معطيات اللسانيات المعاصرة التوليدية التحويلية خصوصا، فتشومسكي كان

---

1 أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص: 203، 204.

باحثا ملهما في التراث النحوي والمنطق الديكارتي الرياضي، وحاول أن يتفرد بتوجهه الجديد في اللسانيات.

س) التقدير أو البنية العميقة عند تشومسكي

يرى بعض الباحثين العرب المحدثون أن تشومسكي أتى بفكرة التقدير أو البنية العميقة من عند النحويين العرب القدامى،" والآن من أين أتى تشومسكي بفكرة التقدير، أو ما يسمى بالمعنى العميق أو الباطني، أو المبنى الثنائي للتركيب اللغوي بشقيه الظاهري والباطني؟ يقرر تشومسكي ذاته أنه تأثر بالمدرسة النحوية الفرنسية (الباب الملكي Royal-port) في القرن السابع عشر، كما أشار إلى ذلك صراحة في كتابه Cartesien linguistics...وبدي سسير De saussure...وولهلم همبولت Wilhelm von humboldt...وزليخ هاريس Zellig harris أستاذه ومشرفه في الدراسات العليا...ولا يذكر النحاة العرب –وبخاصة الأندلسيين منهم– بشيء، وهم الذين ربما تأثرت مدرسة الباب الملكي بأفكارهم أيضا. ولكن الشيء المعروف قطعا أن علماء الغرب ونحاته السابقين لتشومسكي لم يذكروا التقدير، ولا المعنى الباطني في كتاباتهم. وهذا معروف في كتب اللغة وتاريخ علم اللغة عند الغربيين، أنظر مثلا؛ روبينز Robins...ولا ينكره أحد، ولذلك لمّا جاء تشومسكي بهذا النوع من التحليل أحدث ثورة حقيقية في العقل اللغوي الغربي. هذا شيء جديد عليه كل الجدة في فترة الخمسينات، وفي البداية تحمس لها كثير من النحاة الغربيين، وظلّوا يكتبون عنها عشرين سنة...والآن لدينا تساؤلان: هل صحيح أن تشومسكي أبٌ لهذه الفكرة، ولم يسبقه إليها أحد؟ والجواب عن هذا سهل جدًّا، هذه فكرة جديدة في النحو الغربي، ولكنها فكرة عتيقة وقديمة جدًّا في النحو العربي، عمرها أكثر من ثلاثة عشر قرنا. وبناءً على هذا، نقرر السبق التاريخي للنحاة العرب في هذا الميدان، حيث بنوا كل نظرية النحو والإعراب على التقدير والتأويل كما هو معروف، وهذا يعني أن العرب سبقوا الفكر اللغوي الغربي الحديث في هذا المجال بفترة تزيد على ثلاثة عشر قرنا..."[1]؛ فتشومسكي استفاد من والده ومن بداياته في دراسة اللغات السامية والعبرية على وجه الخصوص التي تضمنت فكرة التقدير والحذف الخفيين، ثم بحث لها عمّا يدعمها في فلسفتي أفلاطون وديكارت، فجاء بفكرة البنية العميقة،

---

1 جاسم علي جاسم، "نظرية التقدير عند النحاة العرب والمسلمين وأثرها في نحاة الغرب المعاصرين، تشومسكي مجدد النحو العربي"، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد الثالث، العدد الأول، 2010م، ص 11.

وهي فكرتي التقدير والبناء أو ما يسمى بالنحو الكلي وإرجاع الجمل إلى أصولها عن طريق التأويل، صرّح تشومسكي عن إفادته من نحو بور رواyال ولكنه لم ينكر النحو العربي وطروحاته السباقة، حاله وحال العديد من اللسانيين الغرب المحدثين الذين يتجاوزون كثيرا النحو العربي وأفكاره وطرحه القديم المتقدّم.

خاتمة

وفي خاتمة هذا البحث العلمي حول تطور البحث اللساني الغربي الحديث والمعاصر حول النظرية اللسانية العامة ومصطلحاتها والعناصر التي كشفها الباحثون حول متعلقات اللغة وحيثياتها، يمكن أن ندون النتائج التالية في نقاط نذكر أهمها كالآتي:

– إن النظرية اللسانية الحديثة والمعاصرة لم تكن لتوجد لولا الطرح السوسيري لفكرة الدراسة الآنية وإبعاد كل ما لا يمت بصلة للغة، فقد أخرج الدراسة اللغوية من الفوضى التي كانت تعتريها وتعيق مسار نموها ونضوجها.

– جاءت المدارس اللسانية المختلفة الأوروبية والأمريكية كقراءة لطرح سوسير، فكل مدرسة فهمت اللغة من منظورها الخاص ولكن بأسلوب علمي مبني على البراهين والاستقراء المنهجي البنيوي الدقيق.

– كل مدرسة لسانية تحاول تغطية الإخفاقات التي وقعت فيها المدارس التي سبقتها، وتحاول أن تجد حلولا للمشاكل العالقة، بطرح منهجية جديدة للتناول اللغوي.

– لم يكن البحث اللساني الغربي الحديث بمنأى عن التغيرات الكبرى في فلسفة العلوم، والخلفيات الفكرية السائدة، فقد أثرت الفلسفة الوضعية والبنيوية كمنهج فلسفي ردحا من الزمن، ثم جاءت النزعة السلوكية، ليؤثر في الأخير التيار الفلسفي العقلي، فقد تجاذب البحث اللساني نزعات مختلفة ولكن بطرح علمي منهجي.

– كل النظريات اللسانية العامة التي جاءت عند الغربيين، أثرت على اللسانيات الخاصة باللغات عبر الأقاليم المختلفة، وحتى ضمن مجال التطبيق اللغوي في حقلية تعليمية اللغات والنظرة إلى النظام اللغوي، سواءً على ساحة اللغة العربية أو غيرها من اللغات الأجنبية.

– لقد كان الفضل للطرح اللساني الحديث أن قرب البحث اللغوي من الرياضيات والتكنولوجيا بعدما كان أن ينظر للغة كحقل إنساني معياري بعيد عن الضبط الدقيق والتحكم الرقمي.

قائمة المصادر والمعاجم والمراجع

أ) المعاجم

- أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، لبنان.

ب) المراجع

ب1) المراجع المترجمة

- ألسندرو دورانتي، الأنثروبولوجيا الألسنية، تر: فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2013م.
- أندريه مارتينيه، وظيفة الألسن وديناميتها، تر: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2009م.
- بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة، من هرمان باول حتّى ناعوم تشومسكي، مؤسسة المختار، ط1، مصر، 2004م.
- جان بيرو، اللسانيات، تر: الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر، 2001م.
- جفري سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق والتطوّر، تر: محمد زياد كبّة، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1996م.
- ر.ه.روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، 1997م.
- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، مصر.
- فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، المغرب، 2000م.
- فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس.

– كاترين فوك، بيارلي غوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

– كاترين فوك، بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر.

– ميشال أريفيه، البحث عن فردينان دو سوسير، تر: محمد خير محمود البقاعي، الكتاب الجديد المتحدة، ط1، لبنان، 2009م.

– ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، مصر، 2000م.

– نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، ط1، المغرب، 1990م.

– نعوم تشومسكي، ميشيل فوكو، عن الطبيعة الإنسانية، تر: أمير زكي، دار التنوير، ط1، لبنان، 2015م.

ب2) المراجع العربية

– أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدّراسات الإسلامية والعربية، ط2، الإمارات العربية المتحدة، 2013م.

– أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1998م.

– أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2005م.

– سعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، القاهرة، 2008م.

– شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2004م.

– محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح، عمان، 1999م.

– محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت.

– مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، ليبيا، 2013م.

– نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1978م.

– وليد محمد السراقبي، الألسنية: مفهومها، مبانيها المعرفية، ومدارسها، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، لبنان، 2019م.

ج) المقالات

– إدوارد سابير، اللغة والمحيط، تر: مختار نويوات، مجلة اللغة العربية، المجلد 05، العدد الأول، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.

– أندري مارتيني، "مقابلة مع مفكّر، لقاء مع عالم اللسانية أندريه مارتينيه"، أجراه: نادر سرّاج، مجلة الفكر العربي، لبنان، 1987م.

– جاسم علي جاسم، "نظرية التقدير عند النحاة العرب والمسلمين وأثرها في نحاة الغرب المعاصرين، تشومسكي مجدد النحو العربي"، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد الثالث، العدد الأول، 2010م.

– جان بيار برونكار، أنثروبولوجيا اللغة، تر: أحمد الفوحي، مجلة علامات، العدد 22، المغرب، 2004م.

– جمال بلعربي، "وصف الألسنة وبنية العلامة عند هيلمسلاف، شكل التعبير وشكل المضمون"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 08، العدد 01، جامعة تمنراست، 2019م.

– حافظ إسماعيلي علوي، "اللسانيات البنيوية"، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي بلبنان، العدد: 125/124، 2003م.

– حسين السوداني، "دروس فردينان دي سوسير بعد مائة عام"، مجلة مقابسات، المعهد العالي للعلوم الإنسانية، تونس، العدد 11، 2018م.

- فوزي حسن الشايب، "مظاهر الوسطية في مواقف براغ اللسانية"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد: 30/119، جامعة الكويت، 2012م.

- محمد التهامي العماري، "من اللسانيات البنيوية إلى سيميائيات المسرح، إسهامات حلقة براغ اللسانية"، مجلة أنساق، المجلد 03، العدد 01، 2019، نشر جامعة قطر.

- منتصر أمين عبد الرحيم، "مفهوم الحدس في النظرية التوليدية التحويلية"، مجلة اللسانيات، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد 17، المجلد 18، الجزائر، 2012م.

- نعمة دهش فرحان الطائي، "امتداد السياق الاجتماعي على مساحات المعاني، مقاربة في ضوء اللسانيات الاجتماعية"، مجلة الأستاذ، عدد خاص بالمؤتمر العلمي السادس، العراق، 2018م.

- ياس خضر عباس العباسي، "النسبية اللغوية في حقل الأنثروبولوجيا الثقافية "، الجامعة المستنصرية، العراق، 2019م.

- يحي علي أحمد، "التحليل الفنولوجي وفق منظور مدرسة براغ، صفحة في تاريخ علم اللغة"، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 05، العدد 04، الأردن، 2009م.

د) المواقع الإلكترونية

- الموقع الإلكتروني، نور بوك: www.noor-book.com

- موقع شبكة بحوث وتقارير ومعلومات. الموقع:www.arbyy.com